الضاحك الباكى

تأليف ا/فكرى اباظة

إعداد وتحقيق/أسامة عبد الرحمن

الدمعة الأولى

نحن الآن في أغسطس سنة ١٩١٧ وقد تخرج الأستاذ شكرى في مدرسة الحقوق حاملا شهادة الليسانس، ولكن فرحه كان دون فرحه بلقب أستاذ ، وهو لأول مرة يعني بلبس النظارة ، كأنها من مستلزمات الفقهاء أساطين القانون ويحمل عصا فاخرة تزن مشيته على قاعدة موسيقية ليس فيها نشاز وتساعد على أن تبدو متئدة رزينة في نظر مخلوقات الله و زبائن المستقبل ، والاستاذ شكرى ، لم ينس بتاتا أن يلبس باقة امريكية رباط رقبة من نوع ما يلبسه الرسامون والممثلون وارباب الخيال هل أفلحت كل هذه الاستعدادات في أن تجعل من مواد خلقته ، شيئا جميلا ؟

يقول الآنسات والسيدات وأصدقاؤه الشبان ومعارفه الرجال : لا

وبصر هو على أن يكون الجواب بالايجاب على أن المشكلة لم تكن وليدة هذا الخلاف بل إن أنك ما نكب به هذا الاستاذ ، ان خصومه في حماله كانوا يجمعون على الاعتراف بأن تقاطيع، وجهه منفصلة مجزأة مستقلة جميلة أي أن كل واحدة على حده لاعيب فيها ولكنهم يجمعون في الوقت نفسه على أن مجموعها ليس بالجميل وكانت هذه النظرية غير مقبولة في نظره من الوجهة الحسابية والعملية : ما دام كل جزء جميلا فالكل جميل

كانت هذه قاعدة دفاعه وخطة مرافعاته وكانت روحه المرحة تساعد على ذيوع شناعة خلقته حتى تعدوا الحقيقة بمراحل فظلموه جريح المدرسة لا يعني بالمستقبل اكثر مما يعني بالعواطف، إنه قد أدى واجبه وقطع مراحل الدراسة وأصبح في مصاف الرجال : أول ما يصطدم به الخريج بعد عناء الدرس هو الحب فقد خلا القلب من هم الجغرافيا والتاريخ والحساب وخلا الذهن من هم القانون الروماني والاقتصاد وحجز الأسهم والسندات إذن في قلبه وذهنه فراغان فلتملأها و جولييت ، و ليلى العامرية وكليوباترا، وغيرهن من مخلوقات الله الحسان وأخذ يبحث عن الحب فدله أحد أصحابه على المنزل نمرة 19 في بنسيون ، أربأ بقرائى أن أسميه مالكم واسم البنسيون، وموقعه والحب لا علاقة له بالقصور ولا بالاكواخ والحب لا صلة له بالجوامع ولا بالكنائس ولا بالمواخير الحب أني وجد هو الحب له قدسيته في أقذر البيئات وأحط المغاور والحانات له جلاله وعظمته في أحقر الشخصيات وأدنى الأرواح والنفوس الحب هو مرض ، هو جنون ، هو حمى، هو شيء

لم يدركه الأولون ولن يدركه الآخرون
كانت الفتاة تسمى رتروت وكان اسمها فذة عجيبة ، ولغرابة الأسماء في بعض الأحايين جاذبية تضيف الى وسائل العواطف نسبة معينة من العواطف ما عهدنا أن ثروت ، اسم يطلق على الفتيات ولكن ما العمل واسمها رتروت؟ نظر اليها الاستاذ نظرته البسيكولوجية وسلط عليها أشعة فراسته فلاحظ أنها تبدو طبيعية في كل شيء فهي لا تغرق في المجاملة كما يغرق فيها غيرها من محترفات الحب ومرتزقة الأهواء وهي لا تعني بالحاضرين والذاهبين ثم هي بين آونة وأخرى تصدر زفرة أو حسرة أو آهة من أعماق النفس لامن الحلق ثم هي لا تعني أقل عناية بتواليت الوجه ولا باناقة الملبس وكانها بعد تعدد المقابلات حنت إلى صداقته ووجدت فيه مالم تجده في غيره من الرواد وفي ليلة من الليالي اصطحب الاستاذ معه أخاه الأصغر ولم يكن صغيرة للحد الذي لايناسبه الاصطحاب وانما كان في سن الشباب الناضج فلما تم التعارف بينها وبينه قذفت الأستاذ بنظرة ازدراء رهيةثم همست في اذنه قائلة : يالها من سقطة
قال الأستاذ بلهجة المحاكم : وإذا جاه وحده ؟
قالت : تكون بريئا من ذنبه ويكون بريئا من ذنبك احترامك فرض مفروض على أخيك الأصغر وقد تطوعت للقضاء على هذ ا الاحساس ثم هبه يعلم فان التجاهل يقوم مقام الجهل فهيا انصرف في الحال وخذه معك هذا الدرس الصغير وقع وقعه المؤثر في نفس صاحبنا نشعر بالخجل العادل المصحوب بالمنطق المعقول وفي الزيارة التالية شكر

لها نصيحتها فزادتها شرحا بأن قالت : هب أن أخاك هذا مال الى وهبنى ملت اليه أنا الاخرى وعذرى واضح : فهو أصغر منك سنا ، وارشق قواما ، واجمل تنسيقا وتركيا هب أن الحب تمكن بيننا والحب لا يخضع لتقاليد ولا لآداب ولا لوفاء أو ولاء هب أننا اختلسنا خباياه وخفاياه في غفلتك وشاءت الظروف أن تكتف الخبايا والخفايا أي عداء تولده الغيرة وأى شقاء تنكب به الاسرة ؟

قال لها: صدقت

قالت : قل لاصدقائك إذن أن يحذروا ما وقعت فيه قل لهم إن فتاة مجربة قد اصطدمت بمئات الماسي في حياتها القصيرة من هذا النوع ومن هذا القبيل : مادخلت امرأة بين أخ وأخ ، أوبين قريب وقريب أو بين صديق وصديق ، الا افسدت عدلا أو ظلما بين الأخ وأخيه والقريب وقريبه ، والصديق وصديقه والمباذل من أصولها التستر فلا تعلنوا عنها ولا توجدوا لما شهود العيان

قال لها : قبلة أعجاب

قالت : خذها فلعل فيها شي من النبل والشرف وسط هذه الإدران وفي ليلة أخرى طلبت ثروت ، الى صديقها الأستاذ أن يزورها نهارا واختارت أن تكون المقابلة وقت القيلولة أو قبل الغروب فلما شرع دم الغيرة في الصعود إلى شفتية وعينيه وصدغيه لطمته على وجهه لطمة طيبة ساذجة وقالت :

واسمع ياصي فلسفة الليل الليل من شأنه التهيؤ والتزين والتصنع والشراب وحب الظهور فأنت لا تظفر بحقيقة من تحب ليلا وانما تظفر

بحقيقتها نهارا ، الليل حياة مزخرفة معدة ، يودع فيه أمثالنا وأمثالكم حياة الجد والتفكير والتبصر وهيمون في عالم هو أقرب لعوالم المسارح منه لعوالم الحقيقة نحن وانتم نتنكر في الليل ونسفر في النهار فان شئت أن تعرف من أنا وأن أعرف من أنت فواجهني في النور وحذار حذار أن تواجهني في الظلام قال : لك هذا قالت : أذن إلى اللقاء في حماية الشمس

خرج الاستاذ بنظارته ، وياقته الامريكية ، وعصاه ، يهتز غروراويقول لنفسه: لقد احبتنى الفتاة ومن حيث إنها أحبتنى فيجب أن أفكر في خيرها جديا ومن حيث انها في هذا الوسط فيجب انقاذها واذ وصل إلى هذه النقطة خطر له خاطر اسود فتوقف

عن السير وقد اهتزت أعصابه وأخذ يتمتم كالمحموم : ولعلها ابتكرت حكاية النهار لتتخلص مني في الليل ؟ ولعل العاشق ذا الحظوة هو بطل الظلام وتقهقر خطوتين أو ثلاث خطوات على نية العودة اليها لاجراء التحقيق ، ولكنه عدل استمر الى مسكنه وقد استولى عليه سوء الظن وأخذ يناجى فراسته بخليط من المتناقضات ؟ فتارة هي سافلة منحطة ، وتارة هي تعسة كسيرة الجناح ، وحينا هي مخادعة مخاتلة ، وأحيانا هي مجنونة طائشة ، ومرة أخرى هي بنت الهوى ، ولا أمان لبنات الهوى ، ومرة أخرى هي فريسة القضاء والقدر والحظ المنكود وخلع ملابسه حيث كانت الساعة العاشرة وبدأ النوم يلاعب أجفانه في الساعة الثالثة صباحا

يذكرون عنه في طفولته من عهد الولادة الى عهد الفطام أنه كان لا

يعرف البكاء وكان ترتيبه الثالث عندما ولد ، فلا ترعرع قليلا كان فريسة أخويه الكبيرين ولا تزال في جسمه آثار اللطم والضرب والعاهات الصغيرة التي تخلفها عادة مشاجرات الأولاد ولم ينعم الولد الصغير بحنين خاص أو عطف خاص أو حب خاص بل كان في منزل أبويه شيئا لا بد من تربيته والسلام والأسرة من بيت كبير وعيلة ضخمة الحسب عتيدة النسب وكان من عادات الاسر الريفية في ذلك الوقت المأسوف عليه أن ترسل أولادها لمدارس القاهرة مستقرة في الريف مسقط الرأس ومصدر الرزق وعماد العصبية والحينية كانت الأسر في ذلك الوقت المأسوف عليه لا تعرف إلا الحقل ، والجرن ، وموسم الحصاد وجمع القطن ، ولا تعيش الا مع اتباعها من الفلاحين الزارعين

وكان الخير كثيرة لم تبدده كهرباء العواصم ولا لياليها السهرة ولا سهراتنها الزاهرة ولا مدنيتها الساخرة الفاجرة كان الأولاد في مدارس العاصمة يعيشون وحده عيشة استقلالية علمية لايفسدها الدلال على الام ولا التجني على الاب الضعيف وكانت عيشة من طبيعتها أن تكون خشنة غير ناعمة وأكثر ما يفسد الفتيان في مستهل حياتهم ان تلحظهم النعومة بعناصرها المختلفة ، نعومة الأمهات ، ونعومة الاباء ، ونعومة الملبس ، ونعومة المأكل ، ونعومة المصروف الوفير

كان الفتى بطل هذا الاستعراض بعيش مع أخويه كعيشة الجنود في الثكنات مع الفارق وكان والد الثلاثة شديد الرقابة يلحظ أولاده في الشهر مرتين أو ثلاث مرات فيقوم بواجب الحنو وواجب الاعداد ومن

حسن حظ هذه الفرقة الصغيرة من تلاميذ المدارس أن قائدم وهو أخوم الأكبر كان قدوة كطالب للتعلم دقيقة في مواظبته وفي مطالعته والعجيب في مشاهدات هذه الحياة أن الأخ الأكبر كالاصل ، تطابقة النسخ المطبوعة على غراره فان كان فاسدة تبعه اخوته في الفساد وإن كان صالحا تبعه اخوته في الصلاح

والخلاصة ان ولدنا الصغير نشأ نشأة مدرسية , مضبوطة من كل الوجوه وكانت حلقات دراسته حلقات نجاح بارز سمى بكثير من مرتبة العادي ، وأقرب بكثير إلى مرتبة النبوغ,

غير أن الأخ الأكبر رغم عبقريته كتلميذ وكطالب كان فيما بعد قدوة غير حسنة في النسائيات وهذا هو السر في أن استاذنا حين ترك المدرسة عدا عدو خيل السباق إلى المنزل نمرة 14 في و البنسيون الذي لم أشأ أن أسميه ما دمنا قد عدنا إلى ذكر المنزل نمرة 14 فلنستأنف اخبار مقابلات وبالنهار ، فيه الساعة تدق الثالثة بعد الظهر والاستاذ في محل يلدز منهمك في شراء بعض الحلوى يحملها هدية متواضعة لصديقة النهار صديقة القيلولة أو قبل الغروب

وها هو يسرع بحمله الخفيف إلى دار الحبيب فاذا ما وصل لباب المسكن دق دقة أنيقة فانفتح الباب السكون حقيقة مخم والشمس ترسل اشعتها إلى داخل الغرف وهذه ثروت ، تستقبل صديقها باسمة وتبادر فتأخذ هدية العاشق وتعطيها لمن قابلة ثم تلتفت إلى الشمس ضاحكة وهي تقول : الشمس مطهرة يا أستاذ وأشعتها تقتل الجراثيم وإذ تدخل غرفتها وتغلق وراءها الباب ترتمي على سريرها وتشير اليه بالجلوس

على كرسي بجوار السرير هل وصفت لك هذه الفتاة أيها القارىء ؟
انها سمراء اللون والسمرة تختلط بقليل من الاصفرار الوديع شعرها الأسود الكثيف النامي الطويل تترك له حريته فيندلى حيث يشاء بغير نظام ووجهها دقيق أنيق التقاطيع ترتسم عليه الطفولة والسذاجة فصيح في تحديد السن الصغيرة بغير الرجوع إلى شهادة الميلاد جسمها يستطاع حمله بسهولة وبغير عناء اما عيناها ففيهما كل السحر وكل الجاذبية لا استطيع أن أصفهما تماما وانما اقول بانجاز أنهما من النوع الغزاز ، ومن النوع الشفاف الذي يفضح ما وراءه وينم عما خلفه من النوع الذي يكتب ويقرأ وينطق بغير مداد وبغير لسان
والاستاذ دشكرى ، له في العيون قصائد فهو خير بالعيون والفتاة على العموم صغيرة ، طفلة ، شي، يود العاشق ان يأكله

وبين ضفتي الشعر تبرز خصلة ثائرة عصبية لاتستقر على قرار فهي دائية على مداعبة الجهة بقوامها والعينين بطرفها ورأس الفتاة يعاني من أحوالها الصبيانية كثيرة فهو دائما أبدا متحرك حركة عصية ليحول بين خصلة الشعر والجبهة والعينين
هذه المخلوقة الغريبة تستقبل الأستاذ الولهان وعليها قيص عادى من نوع ما يرتديه الجنس اللطيف لنفسه ، وحده ، لا للمعجبين ولا للعشاق

وقدماها ما تان عاريتان وهذه البودرة وهذا الأمر لم يقوما بواجب استقبال الضيف العزيز يستعرض الشاب هذه المظاهر في نفسه وقد استلقت هي على

الوسادة وسرحت في جو الافكار وطالت لحظة السكوت فيحدق الأستاذ

في عينيها واذا به يظفر بدمعة - تبكين ؟ ثروت تبكين ؟ هذه دمعة أخرى وهذه ثالثة ثم هي تخفي وجهها بين الوسادتين فيقترب بيديه نحو وجهها فيلمس ماء الدموع
والشاب عاطفي فهو يطبع على ثغرها المبلل قبلة ولا يتمالك أن حكم قلبه الطيب فتتساقط على وجهها من عينيه قطرات الدموع واذ تحس الفتاة دموع الفتي تنهض مأخوذة وتهتف بصوت خافت :

-تبكي ؟ فيقول : نعم - ومن أحلى ؟ فيقول : نعم - ومن غير أن تعلم لم بكائي ؟ فيقول : نعم فتحدق آسفة ثم تقول : يا لك من تعس ثم تتناول منديلها فتمسح دموعه بعطف واسى
ثم بغتة تستوى جالسة في سريرها وتحدجه بنظرة ثائرة ثم تشرع في هذه الأسئلة : ما اسمى؟

-ثروت - كذب ما جنسيتي ؟ - مصرية -كذب وتمر فترة قصيرة من سكوت في نظر الفتى طويل وتقفز الفتاة من سريرها وتتجه نحو الدولاب فتخرج ملفا فيه أوراق ثم تعود الى سريرها وتخرج صورة فتوغرافية تحدق فهاتم تعرضها عليه : وهذه صورة أبي وهذه صورة أمي وهذه صور إخوتي وهذه صورة منزلنا في ارمينيا ويصبح شكرى ، بدهشة قائلا : ارمينيا ، ؟
فتضحك ضحكة عنيفة وتقول : نعم ارمينيا ألم تفهم الآن انتي أرمنية ؟
فيتمتم هامسة : ثروت فتقول : ثروت ثم تجهش بالبكاء وقد قبضت على ملف الأوراق وتنتابها إذ ذاك حركة تشنجية ثم يستولى عليها فجأة طارئ جنوني فتطوق بذراعيها عنق شكرى ، بشدة وقوة ثم تصيح

فزعة مأخوذة وهي ترتعد ارتعادة واضحة : انقذني من الوحوش انهم ذبحوه أتوسل اليك انقذني جاء دورى احمني من السكين
وتظل عالقة بعنقه والفتى قد أرتبك ارتباكا ظاهرة فان تطوراتها السريعة المتتابعة لم تترك له الوقت الضروري لاستعادة رزانته وإذيشعر بالبرودة وبالدموع وبالهلع لايملك الا أن يبي هو أيضا ثم كان الفتاة قد تعبت من جراء هذه الثورة العصبية والجسمية والذهنية فهي تستكين وتضعف وتلقي رأسها على صدره وتغمض عينيها و يزورها نعاس غريب عجيب

في مثل هذه المواقف الشاذة التي ليس لها مقدمات يشعر الرجل منا بشعور الاطفال في مثل هذه المواقف يتصل الرجل منا بالله وبالقدر فيستسلم
وشاب كشكرى، حديث العهد بالدنيا العملية ، قليل الخبرة بما سي هذا الصنف من مخلوقات الله لم يفعل شيئا يحدق ويقبل ، ويقبل ويحدق وظلت هذه مهمته حتى أخذت الفتاة تستيقظ أو تفيق ، ثم غادرت ، صدره إلى سريرها فأسرع إلى الكولونيا ، وأخذ يدنها من فها وبدلك وجهها وذراعيها حتى نظرت اليه نظرة هادئة وقالت : أشكرك
قال لها : كيف حالك الان؟
قالت : أحسن قال : أتحتاجين الى طبيب ؟ قالت : مطلقا كم الساعة؟
قال : السادسة
قالت : اذن هيا أسرع إلى المكتب وأد واجبك وعد إلى في القيلولة أو قبيل الغروب قال : يستحيل على أن أتركك على هذا الحال

قالت : افعل ما أقوله ولا تناقش إن حملي ثقيل والمرأة التي يضحي لها الرجل بعمله وواجبه امرأة أن أحبت منه هذا العمل في البداية احتقرته في النهاية دعني حالا أني أريد أن أعد عدتى قليل فاذهب قال : أهذه حقا إرادتك ؟

قالت : نعم وبلا تردد انما لا تنس الغد وأعدك بأن أكون صافية المزاج والشاب لم يفق بعد من الدهشة فلا يسعه إلا الانصراف ولكنها تستوقفه باسمه وتقول - :ان العشاق يقبلون عند الانصراف فأين قبلتك ؟ فيعود اليها منفذا الأوامر ، ثم ينسحب بسكون فتغلق الباب وراءه وهي تقول :مسكين

هذا هو البحر الخضم الذي يرتطم بأمواجه وتياراته العشاق والبحر فيه الصخر واللؤلؤ وفيه اللذة والخطر يقول الأستاذ لنفسه أولا : البنت متعلمة ناضجة الحسن تفهم الحياة أكثر مني ثانيا : إنها من بيت طيب بدليل الصور الفوتوغرافية لابيها ولامها ولأخوتها وتنزلها ثالثا : إنها لا تزال زهرة يانعة فلم تمكث طويلا في أيدي قاطفي الزهور رابعا : إنها ذات آلام ودموع فلها سر أليم رهيب بناء عليه : هي جديرة بالحب رغم وموقعها الجغرافي ، ورغم ظاهرها التعس وبعد أن يصل الأستاذ إلى هذه النتيجة بعد ذلك التسلسل المنطقي البديع يعود فيقول لنفسه : :
أولا : انها ارمنية ،

:ثانيا : إنها سقطت والسلام وكم سقطت أخت لها من قبل، لها أب أرقى من أبيها وأم أفضل من أمها ، وإخوة أنبل من إخوتها ، ومنزل أكرم من منزلها

ثالثا : ان الدموع ثروة النساء

رابعا : مالي أنا وللادوار العصبية ، والنوبات التشنجية ، وهذه الحالات الجوانية وبناء عليه : هي غير جديرة بالحب وأنا جدير بأن أتفرغ لعملى وواجبى ومستقبلى ، وإذ يصل إلى هذه النتيجة بعد ذلك التسلسل المنطقي البديع تدركه سيارة من سيارات الأجرة وتقف فجأة وتطل منها ثروت فيرفع نظره الها ببشاشة كبشاشة الاطفال فتقول له : كنت ذاهبة اليك في المكتب لاعتذر اليك ولا كرر شكرى ولاذكرك بباكر في القيلولة أو قبيل الغروب فلا تنس وإذ يحاول الرد عليها مجددا قد غابت بسرعة عن ناظريه وتزول من خاطره النتيجة الثانية بأسبابها وحيثياتها وتستقر الأولى في الذهن ، وفي القلب في مكتب أحد كبار المحامين يشتغل شكرى ، كمحام تحت التمرين وصاحب المكتب محام بارع ليس فيه إلا عيب واحد أنه رجل كما يقول العامة دغرى ، ولهذا كان صنف النساء من الزبائن لا يتمتع بالدلال اللازم في المكتب ولكن من عهد أن اشتغل به الاستاذ شكري المحامي النائيه و المدردح به اختص بقضايا النساء وبمقابلة النساء والمكتب له زبائن من كل الطبقات وبالاخص الطبقات الراقية وعلى هذا كان المحصول النسائي الراقي وفيرة من كل سن ومن كل فن والاستاذ شكري يتأثر بالقدوة إلا عندما تخالف سليقته وطبيعته فهو أيضا دغرى ، في عمله كاستاذه الكبير يؤديه أكمل أداء ولكنه كان ظريفا خلابا مع السيدات في المكتب بحكم سليقته وطبيعته وكان سعره في هذه السوق رائج .

وكان من الممكن أن تنشأ عواطف وأن تتمكن عواطف وكان من

الممكن أن يتخير المحامي الناشىء حبا راقيا أو زواجا راقيا ولكنه كان أسير الفتاة القاطنة في المنزل نمرة 19 ومن هذا تعرف شيئا من خلال وغريزة هذا المخلوق الغريب وأزيدك بيانا فأقول إن الشاب ديمقراطي متطرف وسترى كيف تكونت عقيدته السياسية ضد الحكم وضد الحكومة وضد الاعتدال وكيف لعب دورة له قيمته في فترة وجيزة في خضم الحياة العامة

إذن كانت وثروت ، الساقطة فوق الجميع فوق الجمال الفاتن ، فوق الطهر المفروض ، فوق الحسب والنسب ، فوق الثروة والجاه ، فوق حاضر الشاب ومستقبله وأنت إذا استطعت أن تناجي دخيلته عن السر في هذا الشذوذ وفي هذا التعصب لأجابتك دخيلته اجابة حازمة جازمة : أنه من أجل الدموع ومن أجل الآلام

والشاب رغم مزاياه النفسية والروحية من أسرة كبيرة اسمها وحده رأس مال كبير ولكنه رغم ذلك كان بطبعه عدو الارستوقراطية وعدوا للنعيم ، وصديقة وفية للبؤس والشقاء شئت أن تقبل هذا أم لم تقبله فنحن لا ندافع عن الفتي ولا نضرب لك المثل الأعلى مستمدا من شخصيته وانما نرصد الواقع ونحلل ناحية من نواحى مخلوق من مخلوقات الله وها هو يستقبل في غرفة عمله بالمكتب نماذج الجمال ، ونماذج الحرير الناعم، ونماذج الماس الخاطف للابصار ، ونماذج التهذيب والثقافة النسائية ، ولكنه رغم كل هذه المغريات والمحرضات لا ينسى نموذجه الوحيد : قاطنة المنزل نمرة ١٩

مثل هذه الحالة العقلية الشاذة يزيدها شذوذا الاعتداد بالنفس ومحامينا

الناشي كان معتدا بنفسه لدرجة تقرب من درجة الغرور فكان من المستحيل أن تضمن له الشفاء وكان من المحتم ان تتركه لمشيئة الاقدار لا تعجل تفاصيل المقابلات النهارية فقد وعدت الفتاة الغامضة صديقها في اليوم التالي أن تكون صافية المزاج وقد برت بوعدها فكانت مقابلة ثم كانت مقابلات ولا يعنينا ان ندون هنا التافه من أمرها وأمره وانما يعنينا أن نذكرك بتلك المفاجأة الحادة التي بدأت بدور عصي عنيف ثم انتهت بغفوة أو اغماءة على الصدر ولعلك تذكر أيها القارى ان السبب الظاهر كان عرضها الصور الفوتوغرافية على صديقها وبالاخص عند ما كشفت له الغطاء عن جنسيتها فعرف أنها أرمنية وعن اسمها فعرف أنه ليس ثروت وقد فاتا أن نذكر لك أنها لفظت أسم ثروت، في الوقت الذي كانت تخرج فيه من ملف أوراقها وتذكاراتها صورة فوتوغرافية لضابط وسيم جميل ما را بذاكرتها.

وشلت النوبة العصبية يدها عن هذه الصورة الفوتوغرافية فبقيت في مكانها ثم كان ما كان تاريخ بيكيان، سرى من سراة الأرمن في القسطنطينية والأرمن في استامبول لهم مكانة اظن دعامتها الأولى هي المال ثم الثقافة وللرجل بنت وحيدة وإخوة أشداء أقوياه بحسب والدهم والفتاة الوحيدة كانت مدللة عنى والدها بتعليمها وبالطواف بها في عواصم أوروبا وكان الرجل كثير الحب لها يصطحبها في غدوانه وروحاته وزياراته وكان لا يغفل عن زيارة السفارات والقنصليات التركية في البلاد التي يحل بها حسب المادة المتبعة والواجب المتبع وفي باريس ، تعرفت الأسرة بضابط تركى يغلب على الظن أن له

اتصالا بدم مصرى والسن تجذب اليها السن وخصوصا في بلاد الغربة بين المواطنين ونقول لك باختصار ان نوعا من العاطفة نشأ بين الفتي التركي والفتاة الأرمينية والفتاة الصغيرة من كل جنس ومن كل لون ومن كل بيئة حين تطالع في كتيب الحب لأول مرة ألفه ، وباءه ، وتائه ، تحتفر هذه الأحرف في قلبها مخبأها فيختلط بها لحم القلب ودمه حتى تصبح جزءا طبيعيا من أجزائه ألم تلعب في نشأتك مع صبية صغيرة لعبة من العاب الاطفال في شوارع الحي وحاراته ثم نبت بينك وبين الصبية نبات صغير ؟ سمه ما شئت أن تسميه : صداقة ميلا استلطافا عشرة ثم تركت الحي صبية وافترقتما ثم مرت الايام والشهور والسنون ثم مر جيل ثم جيل ثم شاءت صدف الأقدار أن تجمع بينكما في تليفون ، أو في طريق ، أو في مكان وقد وخبرتما الدنيا ولكل منكما تاريخ ؟

ألم يحصل لك هذا ؟ ثم ألم تشعر عند المقابلة ان الذكريات ندفع بالذكريات وان ذكرى الصبى تكشف رويدا رويدا عن النبات الصغير فاذا به ينمو ويترعرع ويشتد في لحظة ثم اذا بثمرته تصعد من القلب إلى الشفتين فترتسم قبلة ؟

ثم اذا بالقبلة تلد عاطفة ثم إذا بالعاطفة تلد حبا ؟ هذا ما أسميه الحب المبعوث

ثم من العدل أن نعترف بأن حب الصغار هو أوفي أنواع الحب وأصدق أنواع الحب وأنبل أنواع الحب ولم تكن فتاتنا الأرمنية ولا صديقها التركي صغيرين لحد التصور الذي صورته لك في استشهادى وإنما

أود أن أقول ان الحب بينهما طرق الباب في باريس ، ثم مرت الايام والشهور فلا تلاقيا في الاستانة ، انفتح الباب واستقبل الضيف العزيز بكل ترحاب وبكل سرور

وشهدت متنزهات استامبول ، وفردوس استامبول وجنان استامبول مشاهد هيام تستحق التحليل والتسجيل ولكني أخشى أن ينسى القراء بطلهم المصري في هذه القصة فأنا أستميحهم عذر وأمر على الحوادث مرورا سريعا.

دق ناقوس الدمار والخراب في تركيا ، وانفجرت قنبلة الرعب والذعر فاذا بها تعلن اشتراكها في الجريمة الانسانية الكبرى : الحرب العظمى

لم تكن علاقة الفتاة بالفتى مهددة فقط بتنافر الدم ، وتناقض الدين، ولم تكن مشكلة الارتباط الشرعي الطاهر بينهما هي مشكلة هذين العنصرين ، فهى من الذين يرون أن الحب هو الدم وهو الجنسية وهو الدين وأما كانت النكبة النكباء أنها ارمنية وهو تركى والعداوة بين العنصرين قدم التاريخ وزادتها الحرب تمكنا وتأصلا فأخذت بالفعل مظهرا من مظاهر سفك الدماء

وحين أنذر الفتى الضابط بالاستعداد لتلبية نداء الوطن في مختلف الميادين وحين تحقق لديه أن ساعة الفراق أوشكت أن تدق دقاتها الأليمة ارتفع في مجرى قلبه وقلب صديقته منسوب الحب وفاض الحب من شأن الشجاعة والاستهتار ومن شأنه رغم كل احتياط أن يسفر وأن يتجلى وكشفت العين الأرمينية الحيرانة المتطايرة الشرر ملتقى العاشقين فلم تغمض الجفن بل اندلع منها لهيب النار وفي عصر من

عصارى، اللقاء وقد أخذ قرص الشمس يودع النهار هرولت الفتاة إلى مكان اللقاء في الضواحي الحنونة الحساسة التي تشمل العشاق بحمايتها وتحول بينهم وبين الأنظار هرولت وكانت قد اعتادت أن تظفر بصديقها في الانتظار فراعها أول ما راعها أنه ليس هناك هتفت فلم يهتف أحد وتوارى قرص الشمس ,

فقصدت إلى شجرة اعتادت أن تركن إلى جذعها هي والصديق المتخلف فاذا بها تصطدم بشيء فتسقط على وجهها ولكن لم تلمس شفتاها الأرض وانما لمسنا لمستا شفتى الضابط المذبوح .

وكانت قبلة الوداع ممزوجة بالدم الأحمر القاني ومصحوبة بصرخة هي أشقى ماعرف التاريخ في الغرفة عينها وفي القيلولة وقبل الغروب وقد جلست الفتاة على ركبتي الاستاذ وطوقت عنقه بذراعيها تبكي بكاء مرا هادئا ذليلا وقد حرفت أنفاسها وجهه بنارها وسعيرها .

كانت تروى له الواقعة التي رويناها لك من أول ابيكيان ، حي قبلة الوداع وكانت دموعه هو تجارى دموعها هي وخيم سكون عميق وقطع الاستاذ السكون بقوله : كفى وحسبك قالت : وماذا بقي ؟ قال : لا شيء قالت : أعرفت من كانت الفتاة الأرمنية ؟ قال : لعلها أنت

قالت :نعم قال : ومن كان الضابط المسكين ؟ قالت : كان ثروت، هنا فهم الاستاذ انها لم تحمل من ذكريات الذبيح إلا اسمه وهنا أدرك لم انتهت مأساة التشنج الأولى في أول مقابلة بقولها **:**هم ذبحوه جاء دورى احمني من السكين ، قال وقد لمعت عيناه البطولة والمروءة : هل لا تزال تطاردك السكين ؟؟

قالت : بالله لا تذكرني بتاريخ المطاردة وأهوالها وشقائها كانت نهايتها هذه البؤرة وهذه المقبرة قال : ان في مجال الاصلاح متسع للجميع ؟ قالت : هيهات قال : عدينى قالت : إني لا أعد أني نذرت نفسي للشقاء وللدموع قال : أني أعشق دموعك فهيا هيا لنستروح في الهواء الطلق ونحاول النسيان وكانت نزهة مسائية لعب أكثر أدوارها الصمت الطويل والتفكير الطويل وامتازت بظاهرة أدنى وصف لها أنها عفيفة ولعل الذكريات الاليمة والحوادث العنيفة ، والموقف الجاد الذي تمخضت عنه هذه الذكريات والحوادث - لعل هذه العناصر الثلاثة قد رجعت الفتى والفتاة إلى العهد العذري ونحن الآن في أواخر سنة ١٩١٨ والقاهرة وضواحيها مزدحمة بالعساكر الانجليزيين والأستراليين وغريب أن يرد ذكرهم في هذه اللحظة سلوا ثروت ، المسكينة فهي سبب هذه المفارقات سلوها : لماذا تضطرب حين تلمح وجها د أوستراليا ؟ فهى تجفل فجأة وتلتصق بصديقها التصاقا وعيناها زائغتان فزعتان سلوها : لماذا تقترح على صديقها بالحاح أن يبعد بها عن وجوه وسحن الأستراليين ؟؟ لم يجد الاستاذ في أول الأمر ما يلفت النظر من هذه الناحية فهو نفسه عانى كثيرا من رذالة الاسترانيين ، وتحكك الأستراليين، وتعديهم ، ولئن أحس , الرجل، بالاشمئزاز منهم فالمرأة ، أولى بهذا الاحساس ولكنها بالغت في الجزع فقال لها - : أتكرهين الأستراليين ؟ قالت : أخشاهم قال : ولهذا الحد؟ قالت : نعم قال : ولم ؟ خبريني قالت : لم يأت الأوان : عندما يكشف الرجل العاشق في المرأة المعشوقة - وخصوصا من هذا الصنف - بطريق

الصدفة أو بحكم المعاشرة الطويلة ، خلة نبيلة ، او تاريخا حزينا ، أو ناحية مظلمة ، تنبعث من أقصى نفسه عواطف طيبة فياضة شكرى ، محا من ذهنه نهائيا صورة المرأة قاطبة , البنسيون، المنزل رقم19 محا من ذهنه نهائيا صورة الليل ، وانطبعت فيه صورة النهار : و في القيلولة أو قبل الغروب ، أو قل باختصار محا من ذهنه صورة ثروت، وأحل محلها صورة الفتاة الأرمنية كريمة ج ابيكيان ، وخريج المدرسة في مستهل حياته التجريبية ، في هذه الدنيا المتلاطمة الأمواج يعتريه ويعتري زملاءه وأقرانه في السن وفي التجربة نوع من وحي الخيال والفلسفة الساذجة والمشاعر الانسانية هذا و المصلح الاجتماعي، الصغير توكل على الله وصمم أن ينتشل الفتاة الضائعة .

ها هو يقرأ معها الجرائد والمجلات والكتب ويناقشها في علم النفس وفي السياسة وينتقل بها من بحث فني ، الى بحث صناعى ، الى بحث ادبي فاذا سألته : لم هذا العناء ؟ أجابك : أريد أن أبعث استعدادها من القبر الذي دفن فيه وها هو يزج بها في أوساط راقية فيطوف معها الحفلات الخيرية والاجتماعية الأدبية العلمية فاذا سألته : ماذا ترمي بهذا ؟؟ أجابك - : أريد أن أذكرها بوسطها الماضي وأبعدها عن وسطها الحاضر ثم ما هو في ذات يوم من الايام يفاجأها بهذا الاقتراح الطريف : أن تمضى معه أسبوعا في الريف ؟ **ف**ي الريف من العدل أن نقرر أن الفتى نجح نجاحا ما في أساليبه الاصلاحية هذه لقد أخذ رونق الفتاة النظيفة ، يسطع على وجهها وأساريرها وأخذ يسود حركاتها وأحوالها وأخذ يطارد ظلام البنسيون، الذي لم أشأ أن أسميه

وفي عزبة من عزب الريف نزل الصديقان في ضيافة أحد أقارب الاستاذ الاعزب فترك لهما العزبة لينعما منفردين لايعكر صفو وحدتهما مخلوق ويا للدهشة ؟

ان ثروت ، الماجنة طريدة العيلة ربة منزل لا تجارى : تجيد الطهى والكي وقد حملت أدواتها الصغيرة ونسيجها تصنع جرمى، لصديقها العزيز وها هي تجمع نساء القرية فتجري عليهن الاحسان وقد سحرتهن سحرا أخاذا بظرفها ودعتها فهن عند اللجاج لا يقسمن الا باسمها ولا يحتكمن إلا لحكمها وأمرها وها قد تطورت ثروت الماجنة فهي في الصباح الندى وهي في الليل البلبل المغرد وهي النشطة الصحيحة وهي في اسبوع الريف رمز السعادة في كل حال ولما دنا موعد الرحيل بكت بكاءا مرا وكانت ساعة السفر ساعة النواح وقد تظاهر نساء القرية يودعنها بالدموع وبالدعوات الطيبات ؟ :

وفي القطار همس شكرى ، في أنتها : أسعيدة أنت ؟ -لدرجة الخوف ، دعنى أشكرك ؟ ثم أخذت تقبل يديه من شدة السرور وتقاطرت من عينيها بعض الدموع ربما ان ذكرى الرحلة الريفية كانت أبدا منطبعة في ذهن هذه المرأة الصغيرة، وكان يلذ لصديقنا دشكرى، أن يسمع عبارات الاعجاب برحلة الريف من فمها الأنيق ولكن المسألة لم تكن في نظر تروت، مسألة ذكرى وإعجاب فقط ، بل كانت أبعد مرمى ، وأدق مغزى كانت تتكلم عن الريف بحاسة غامضة وكانت تسائله عن عزبة والده في الريف بنزق وفرح ثم تعود وتغمض عين الاسى بذل ومسكنة وحسرة ؟؟

من العسير على الكاتب القدير أن يحلل هذا الطائف الطارئ على خاطر الفتاة وبقدر ما تملك كفاءتنا الكتابية في التحليل نحاول هنا أن نفرض عدة فروض : هل كانت الفتاة ترهب شيئا رهيبا في القاهرة فهي تذكر الريف وتحن إلى الريف ؟ ربما
هل بعث الريف من ماضيها شخصية الفتاة الصغيرة الكريمة النقية العاشقة فودت أن تعود سيرتها الأولى ووجدت من نفسها كريمة ج ابيكيان ، ومن الأستاذ الضابط ثروت ؟ ربما .
هل خطر لها خاطر الزواج من شكرى ، ولكنها استدركت فقاست البعد بين مستواه الحاضر ومستواها الحاضر ؟ ولمست بيدها الباب الفولاذي الضخم الذي يحجب بين دنياها المفتوحة وبيته المصون المحروس ؟ ربما. من أتعس الخواطر التي تمر على أذهان هذا الصنف من فرائس الحياة أن يفكرن في الزواج من عاشق أو من محب ولهان ولذلك يمر الخاطر بسرعة البرق وتمحوه آية الليل ؟ .
آية الليل ? آية الليل عند صاحبتنا ثروت، وقد آن أوان الافصاح والايضاح كان ضابطا استراليا خشنا يقتحم بابها لا في القيلولة أو قبل الغروب ، كما كان يفعل المتر شكرى ، وانما في الليل او شكرى ، المحب الفيلسوف المصلح عاشق الدموع كان من صنف العشاق الذين يحترمون الخصوصيات ويقدسون الخصوصيات والذين يأنفون أن يتجسسوا أو يتحروا أو يفاجئوا وهذه ناحية من نواحي الحب تستحق هي الأخرى التحليل :ان العاشق الذي لايتجسس ولا يفاجيء ولا يبحث لا يفعل ذلك عن غفلة أو نبل أو كرم اخلاق ، وانما هو يشفق أن يبحث

فيكتشف فيتألم فينور فتنقطع علاقة الحب ؟ لذلك هو يغمض العين متعمدا ، ويسد الاذن متعمدا وان كان إحساسه الحساس يقوم مقام العين والأذن سواء بسواء حدس العاشق لا يخطى وانما قلبه الطيب الفياض بالحب يطغى على عقله وعلى بشره فهو يغفل أو يتغافل ويعمى أو يتعامى ويتعقد موقفه ويصعب أن كأن عشقه من نوع هذا العشق ولم يكن يملك بوسائله حقوق العشاق المستأرين أو بعبارة أصرح : هل ينوى شكرى، الضعيف الموارد الانفاق ؟ ان كان يفعل كان صاحب السلطان على كل النواحي وان كان لايفعل فبأي حق يتلصص ؟ هذا هو العذاب بعينه: محب محبوب ولكن غير قادر اذن عليه أن يحسن الظن وان يقبل المبررات وهو صاغر فان ثارت كرامته ونخوته وجب عليه أن يكتم حبه ، وأن يسحق قلبه ، وان ينسحب من الميدان بطل الظلام

وثروت ، هذه ماذا كانت مع بطل الظلام ؟ ظفر بها في غير مصر فأحبها ومن حق كل مخلوق أن محب التقطها من الدنيا شريدة طريدة منكوبة فظللها بحمايته ورعايته وطاف بها في كل مكان به طاف ووقعت في مخالب المرض مرات فكافح بمروءته ونخوته مخالب المرض وأنقذها مرات ويكى لها وبكت له فأحبها عشقا ، وأحبته وفاء والبنت من أصل طيب فهي لا تغدر وهي لا تتنكر للأوفياء حتى اذا هبطا مصر عاشرته وساكنته ، ولكنه انتدب لمهمة عسكرية في غير مصر فودعها على أن يعود، انتهت الحرب أو لم تنته فقرت بالمنزل رقم **19** في مسكن أنيق وبرز شكرى ، في نهاية فترة الغياب فأحيته الفتاة ثم عاد الضابط الأوسترالى فوجدت نفسها بين نارين : نار الحب

ونار الوفاء أفهمت كيف قسمت بينهما نسمة عادلة خفظت لصاحبنا وقت القيلولة أو قبل الغروب وحفظت لصاحبنا الأخر وقت الظلام ؟
أفهمت كيف كانت تفزع لرؤية الأستراليين وذكرى الأستراليين وكيف كانت تسأل : أتكرههم ؟ فتجيب : أخشاهم ؟ أفهمت كيف نعمت برحلة الريف وسعدت برحلة الريف وكيف لمحت بذل وانكسار الى أمنية الاستقرار بالريف ؟ ويل المرأة الطيبة إن أحبت غراما - وأحبت اكراما ويلها ويلها ان اعطت لهذا قلبها - ولذاك ضميرها ووجدانها ويلها ويلها من معركة القلب الحساس - مع النفس الحساسة أيهما تقل : أهي العاطفة - أم الواجب ؟ أيهما تقصى : أهو المحبوب - أم المنقذ؟
يقول بعض المتطرفين في أصول الهوى إن الموقف لا يحتمل التردد فالحب أقوى المشاعر وهو يكتسح ماعداه ويتغلب على سواه وعندي أن البنت برأي غير معصوم من الخطأ عندي أن المسئلة نسبية يرجع الحكم فيها إلى استعداد المرأة وكمالها أو نقصها ، وعندما أقول الكمال أو النقص انما احصره في دائرة ضيقة وفي المرأة الساقطة كمال وفيها نقص فيها ناحية مرذولة ، حكمها حكم سواها وفيها ناحية طيبة ، جديرة بالاجلال على كل حال المرأة في هذا الموقف جد تواقة إلى الإبقاء على الخصمين المتنازعين والمغرمين المتنافسين وهي وشأنها وسرها في توزيع الحب على هذا والوفاء على ذاك
دعني من الحكم العام الذي قد تراه والذي قد لا اراه إني انقذك وأنقذ نفسي من هذا الحكم النفساني فأقول ان ثروت ، كانت عادلة فهي لا تود ان تضحي بهذا ولا تود ان تضحي بذاك ؟ ولكن ما العمل اذا كشف

أحد المتبارزين موقع خصمه ومزاحمه ؟ ما العمل اذا تصادما وارتفع الستار ؟ ما العمل اذا طلب اليها بلهجة الحزم والجزم ان تختار ؟ وقد تصادم عاشقان فوقعت الفتاة في الفخ وتخلى كل منهما عنها وفترة تخلى العشاق فترة ألية على العشاق وعلى المعشوقين والفتاة فيها شيء من الكبرياء فصمدت للصدمة حتى تفكر وحتى

تبت ؟ ومن حق هذا الضابط أن يثور فهو رجل بمعنى الكلمة ضحى لها وأنفق عليها وحماها ورعاها ففي الموقف عنصر عنيف من عناصر الجحود وقلنا فيما مضى إن الحب هو حمى، وان الحب هو جنون وهل يرضيه أن يعلم بأن الفتاة لا تجحده ولا تتنكر اليه مادامت لا تحبه ؟ والمحب أناني : يريد أن يستولى على القلب والجسم والعقل والذهن والنفس والحواس جميعة ويأنف أن يظفر بنصيب وان يظفر غيره بنصيب المحب يمقت الشركة ويأباها ولكن قبل الشركة فاين تكون رجولته ؟ أضف إلى عناصر هذه النار المشتعلة في صدره أنه ضابط أنه- جندى وعسكرى ولرجال الجندية والعسكرية اعتزاز بالكرامة لا يدانيه اعتزاز الشرف العسكري عنصر يمتزج بكل دور من أدوار حياتهم في ميادين الحرب ما في ميادين الحب اذن لا بد من موقعة فاصلة فلنتنظر كيف تكون خذلا أما فتانا شكرى ، فكانت صدمته لا تقل عن صدمة الضابط عنفا وقسوة هو يجهل التفاصيل ويعلم فقط أنه كان مخدوعا وأنها كانت ولا تزال تحب سواه

اذن واخجلاه من زيارة القيلولة أو قبل الغروب واخجلاه من الدموع الجارية على وجهه وعلى صدره واخجلاه من رحلة الريف وهناء

رحلة الريف واخجلاه من ذلك الخيال الراقي الذي رسمه في ذهنه للفتاة التعسة ثم واحسرتاه على تفويته الفرص التي ولت واهدرت واحسرتاه على أنه زل وسقط في أحضان فتاة ساقطة اذن سحقا للحب الراقي وللحب الوضيع ولكنه يحب اذن فليفكر طويلا وليبك بكاء ممزوجا بالخجل من البكاء

على أنه وسط هذه اللعنات يراجع ضميره فيقول : لا شك أنها قصة منكوبة وأن كانت تحب سواء فهل يمكن أن يكون الحب محل مؤاخذة أو يمكن أن يكون جرما وجريرة ؟

وبأي حق يطالبها بقلبها وما هو الثمن الذي أداه ؟ أما يرضيه أنها ترتضيه ؟إنها ظريفة لطيفة لا تكرهه وأنها تسمح له بأن يتلقى الدموع وأن يتلقى الاسرار ؟ لكنه يحب والمحب أناني فهي تخدعه ولم تغرر به ولم يستهويه ؟ الانسحاب هو نعم الجواب وليقتنع بالتجربة الأولى في عالم الغرام ليأخذ منها عظة ودرسة

ولكن نقطة واحدة تمس رجولته ، منافسه من جيش الاحتلال او من جنس جيش الاحتلال في الموقف عنصر من عناصر الجبن والتقهقر فتظن الفتاة أن الانسحاب هو بمثابة فرار ؟

اذن فليتطور هذا الخذلان العواطفي بالنعرة الوطنية السياسية ، وليلع الفتى بشره بذرة الثورة ضد غاصبى وطنه ، وغاصب محبوبته ، ولتنبت هذه البذرة نباتها ، ولترسل شجرها بأغصان وفروع تصلح فيما بعد وقودا ونارا ومرت أيام وليال ويقتحم الأوساط السياسية في بلده ، وكانت ثائرة لقضية الوطن وكان من فرط ثورته لا يروقه الاعتدال

ولا اللين ولا المرونة بل كان داعية من دعاة التطرف الذين لقبهم مواطنوه بالخياليين المجانين وكان استعداده الذي مهدنا له في الفصول الأولى يناسبه هذا التطرف بعد هذه اللطمة، بحيث كانت فتيلا اشعل القنبلة الدفينة في أحشائه فانفجرت ودوت واطلت سنة ١٩١٩ بوجهها اللعين على مصر البائسة ، وكانت قد اكتوت بنار السلطة العسكرية من مصادرة مواطنيه الآدميين وسوقهم قبل ذلك الى ميادين الردي ، ومن مصادرة أرزاقهم بأبخس الأثمان .

ووجد الفتي من هذا الخضم السياسي الذي غمره ما خفف من آلامه نوعا ما ، وان كانت فترات القيلولة أو قبل الغروب تفترس قلبه كلما مرت الذكرى وتجلت الخواطر هذه مواقف الثلاثة شرحناها وحللناها بايجاز وغموض ترجيح في الساعة السابعة من مساء يوم من أيام فبراير سنة ١٩١٩ دخل عم عبد الله ، فراش المكتب على الاستاذ د شكرى ، فقال له : أن سيدة بالباب ورفع شكرى ، رأسه من الدوسيه الذي يحدق فيه وأذن بالدخول بغير اكتراث الزائرة فتاة شاحبة يلوح على وجهها شيء من الاصفرار واصفرار الالام او المرض نوع بديع من أنواع الجاذبية والجمال تقدمت الزائرة بخطوات مضطربة مرتبكة فنهض الفتى مهتزا يستقبلها بأدب وشجن ثم همس قائلا :

ثروت ؟ أجابت ببرود:هي أنا قال : تفضلي قالت : عندي حديث طويل أو قصير والمكتب لا يناسبه قال بدهشة : أنخرج سويا ؟ قالت : ممكن قال : انن أجلسى وانتظري قليلا وأتم شكرى ، عمله ثم استأذن استاذه وأشار اليها بأن تسبقه الى الباب ثم لحق بها وركبا مركبة صامتين

والسائق يسوق الى الامام وهو لا يسأل وهما لا يرشدان ظفرا وتنبهت الفتاة قبل أن يتنبه الفتي فقالت : إلى أين ؟ قال بضعف : الى حيث تشائين قالت : أقترح أن نذهب الى حلوان قال : أمرك وأمر السائق بأن يتجه الى باب اللوق وركبا القطار ووصلا إلى حلوان وسارا على القدمين حتى مكان خال في قهوة خالية من الناس جلسا وقالت بلهجة الجد : إني جئت أنذرك فقال بلهجة التهكم : مشفقة أم كارهة ؟ قالت بل مشفقة قال : على أم عليه ؟ قالت بلهجة صادقة صريحة : عليكما معا قال : اذن نحن شريكان ؟ قالت باللهجة عينها : نعم قال : امقت الشركة ، وارفض الانذار سكنت الفتاة هنيهة ثم قالت : اريد ان اشرب خمرة قال : ان الخمر مفسدة

قالت : ولكنها عندى تبعث أصدق الاحساسات وأصدق الأقوال ،وأريد ان افضى اليك باشياء صادقة ورهيبة قال : ليكن وأمر لها بالشراب فشربت مثنى وثلاث ورباع قالت : أسقطت في نظرك نهائيا ؟ قال : لا الومك وانما سقطت انا في نظر نفسي قالت: اذن انمحي كل تاريخي معك من ذهنك ؟ قال : ليست لي عليك حقوق هنا اعتدلت في جلستها والقت بالكوب الفارغ وقالت : اسمع يا شكرى ، أتذكر جزعى من رؤية الأستراليين ؟ ألم اكرر قولى اني لا اكرههم بل اخشاهم ؟ قال : أذ كر قالت : اذن فاعلم أني جئت أنذرك اتي أخشى عليك قال : اطمئني لقد انسحبت فتمتعى وكانها اعتبرت هذه العبارة اهانة فانتصبت كاللبوة وزارت : دنيء أظننت انني جئت استميحك عذرا لاني أحب وأرجو منك أن تخلى الطريق دنى قال مستخفا : اشكرك على هذه التحية قالت

: اذن لن يكون الحديث بيننا طويلا كلمة واحدة أو كلمتين : احذر الضابط قال : كم أود ان اكون أول ضحية قالت : وعلى مذبحى؟ قال : لا بل على مذبح بلادى قالت وقد اطلت من عينيها الذابلتين الدموع : :

-انا الساقطة في نظرك ونظره ونظر الناس ونظر ابوى واخوى واسرتي وعشيرتي من قبل لست آسف على شيء ، انما انا امرأة عنصرى نبيل وقد جئت أؤدي واجب فقد تكون هذه آخر مقابلة بيني وبينك احبك واحب الرجل أحبك ولم تقدم لي معونة ولم تبذل ولم تضح وأحبه لانه فعل كل هذا صدقت أم لم تصدق فلست اطمع في استئناف العلاقة وتستطيع أن نستنتج مع من قلبى ومع من ضميري ووجداى وكم حاولت كبريائى أن تصدني عن هذه المقابلة وعن هذا التصريح وقد نجحت مرارا ولكنها فشلت هذه المرة لأني امرأة منحوسة ونحسي ينصب على رؤوس عشاقى ولاني أخشى أن يجرى عليك ما جرى على ثروت وأن أقبلك أنت ايضا قبلة الوداع نطقت بهذه العبارات بروح وحماسة وهبطت هذه العبارات بردا وسلاما على قلب الفتى المتقد بالنار ، فهدأ واستراح وانتزع يدها وطبع عليها قبلة والعشاق الأطفال بأسره بسرعة البرق الكلام اللين المصوغ في قالب الاعتذار أو قالب الايضاح والبيان وكأنه شكرى، أراد أن يستمتع بتفاصيل هذا النوع فكشفت له بتدفق عما بيناه وانتهت المقابلة على احسن ما يكون وقد عاد بها إلى القاهرة مزهوا فخورا لانه استعاد القلب واستعاد كرامة العشاق ولكن بقي في الظلام شبح التهديد أما هو فكان لا يأبه ولا يكترث وأما هي فكانت تحميه بالقبل المتوالية وتصف له وسائل

التحصن والحذر وعيناها مفعمتان بالدموع
سنسافر معا في ساعة القيلولة وساعة قبل الغروب دق جرس البنسيون فهرولت ثروت ، بنفسها الى الباب ظانة أن الزائر هو شكرى وما فتحت الباب حتى وجدت أمامها الضابط حياها فردت التحية واتجه إلى غرفتها بدون استئذان كما اعتاد أن يتجه فسارت وراءه قال لها : كيف حال المصرى ؟ قالت : لم أره غير مرة واحدة قال : وهل لا تزالين تحبينه ؟ أجابت : يكفيك أن اقول اني لا ازال احبك قال : شكرا هونت على مهمتي قالت : أية مهمة ؟ قال : سنسافر معا بعد يومين اثنين قالت : إلى اين ؟ قال : إلى وطني الى استراليا قالت : أجاد انت ؟ قال : كل الجد وجمت ولكنها تمالكت ثم قالت : ولكن كيف استطيع أن أعد حوانجي في هذا الوقت القصير ؟ قال : أما حوائجك فلا يحتاج اعدادها إلى وقت طويل ، وأما الباسبورت فدعى امره لي
قالت : ولم هذا السفر المفاجئ؟ قال : صدر الأمر بتسريع الفرقة قالت : دعني افكر قال : أتترددين ؟
قالت : وأي غرابة في هذا ؟ من مصر الى استراليا اليس الامر يحتاج للتفكير ؟
قال : عجيب ما كان عهدي بك ان تترددي فيجب ان تبقى قالت : لن أسافر قال : نهائيا ؟ قالت : نهائيا وبكت ولست أدري اكان البكاء من اجله أم من اجل الموقف الدقيق والمأزق الحرج؟ وأشعل هو سيجارته ثم قال : اذن لنشرب ؟وتناول اقداح الشراب سريعة متتابعة وهو يتأوه ويتلوى ويكظم الغيظ ، وقد ثبت لديه آن : المصري ، هو العقبة الكؤود

واسترد الضابط توازنه واستعاد بروده ثم اخذ يكرر الطلب بكل أنواع وصيغة وأساليبه ، من رجاء ، وإلحاح ، وتشدد ، وتوسل ، وتذكير زمرد ولكنها كانت أبدا مصرة بكل أنواع صيغ الاصرار وأساليه ، من ضعف ، واعتذار ، وشدة ووجم الضابط وجمة طويلة ثم زفر زفرة طويلة ثم قال : ان السفر بعد باكر وبا كر هو يوم الاعداد وهو يوم مشحون بالعمل لم يبق إلا هذا المساء وهذا الليل ، فليكن مساء الوداع وليل الوداع ويكفيني وقد رفضت رجائي أن أمضيهما معك ولعل الأيام المقبلة تجمع بيننا فهيا وقامت ثروت ، فارتدت ملابسها وهي تعلم أن تمضية هذا الوقت مع الرجل الوفي المخلص هو واجب هين عادل وذهبا إلى الجزيرة وقد ودعت الشمس الافق ، وابتدأ الظلام يرسل طلائعه على الدنيا المضيئة - السفر كان الأستاذ شكرى ، في اليوم التالى بالاسكندرية في قضية ، وعاد بعد الظهر مضى من وعثاء السفر ، فلما استراح قليلا حمل محفظته وتوجه الى المكتب ثم طلب فنجان من القهوة وفتح جريدة المقطم كعادته ليقرأ أخبار المحليات وكان قد أمر الكتبة بأن يحضروا له بسرعة عمل الغد وبينما هم منهمكون في تنفيذ أوامر الشاب المحبوب اذا بصرخة تدوي في ارجاء المكتب وتهز أركانه وقد صدرت من غرفته ،

بادر الكتبة فزعين الى النجدة فوجدوا الفتي مغمي عليه وقد سقط من كرسيه وجريدة المقطم بجواره استدعى الطبيب في الحال وعملت الاسعافات السريعة، وكان له زميل من سنه يعرف من خصوصيانه الشيء الكثير وقد لفتت نظره الجريدة فاخذها وقرأ فيها ما يأتي:مقتل

ضابط اوسترالي وقتل فتاة د عثر البوليس أمس الأول أثناء تجوله في نواحي الزمالك بعد نادى الجزيرة البريطاني حوالي الساعة الثامنة ضابط استرالي وانية عليها مظهر المصريات ، وقد اخترق الرصاص قلبيهما فسقطا صريعين وقد وجد خطاب بجانب الجثتين كتبه الضابط المنتحر وذكر فيه أنه بسبب صدور الاوامر اليه بالعودة إلى الوطن وعدم إمكانه مخالفة هذه الأوامر ولانه يحب صديقته هذه فقد قرر أن ينتحر فاطلق عليها الرصاص أولا ثم أطلقه على نفسه وإنه يودع أصدقاءه وأهله ويطلب الغفران من الله

وأما الضابط فاسمه جيمس ريد، كما ذكر في خطابه وأما الفتاة فاسمها ثروت ، ويظهر انه اسم محرف وهكذا مصارع العشاق الى اسيوط - :

الى أسيوط في القاهرة ناد فخم للالعاب الرياضية كان ولا يزال أرقي النوادي الرياضية المصرية وسطا وحيثية مؤسسوه كانوا فريقا من كبار الطبقة الأرستقراطية المثقفة الموسرة واعضاء لجنته العليا من الوزراء وأمثالهم كان شكرى، عضوا في هذا النادي وكان من هواة كرة القدم ، وفريق كرة القدم، في هذا النادي كان أقوى الفرق المعروفة في قطار الليل الذي يقوم من محطة العاصمة حوالي الساعة الثامنة مساء احتل فريق النادي مركبة من مركبات الدرجة الثانية ووجهته أسيوط لمباراة ناديها الرياضى وشوهد بين أفراد الفريق المسافرين شكرى ورحلات فرق الكرة في النوادي والمدارس رحلات ممتعة حقا هي عبارة عن ضحكات من القلب واعفي بعد ذلك من الوصف هى المرح وهي السعادة وهي الهناء وهي الطفولة الفتية بكل ما فيها من

سذاجة وصفاء وعدم شعور بالمسئولية شكرى ، كان الثرثار اللبق الحاضر البديهة السريع النكتة ، وكان المورد العذب في كل رحلة ولكن ، يالخيبة الأمل ؟ ان هذه المرة جامدا كالحجر ، باردا كالثلج ، شاحبا شاردا كمدمني المخدرات وحاول اخوانه أن يحركوه بنكانهم الظريفة ومجونهم البري فكان ينظر ولا يتحرك قال الصديق نمرة 1 : انت جوعان ؟ وقال الصديق نمرة ٢: انت مفلس ؟ وقال الصديق نمرة 3 : انت قتلت قتيل ؟ وانطلقت العبارة الاخيرة كالسهم أصابت فؤاده فصرخ صرخة مدورية واردفها بلفظ فيه كل الوجيعة : نعم صدق شكرى ، اذ صرخ وقال : نعم ألم يكن هو القاتل حقا ؟ لولا انه كان طارئا طرأ على حياة قاطنة القبر ما احتواها القبر ؟

كانت عادت الى أحضان صديقها ومنقذها فتبعته إلى حيث شاء ، وتزوجته أو عاشرته ، كما يشاء ، وتمتعت بالحياة ولم يغيبها الظلام نعم كان هو القاتل لا القدر وما هو جزاء القاتل في عرف العدل لا في عرف القانون ؟ ما هو جزاء القاتل في عرف الواجب لا في عرف المسئولية الوضيعة ؟ ما هو جزاء القاتل في عرف المحب الولهان لافي عرف الحيوان ونصف الحيوان ؟

أن يختفي من العالم وان يرقد بجوار الضحية : طائعا مختارا يستصدر الحكم على نفسه من ضميره ، وعلى حياته من وجدانه ، ثم ينفذه بيديه في روحه ، ثم ينتهي ان كان رجلا وكان شجاعا وإن شكرى ، لرجل وانه لشجاع ؟ اذن علام التردد ؟ وعلام الابطاء ؟ هذا القطار يسير بسرعة البرق ، وهذه النافذة يستطيع أن يقفز منها قفزة واحدة فيصل

بالسلامة الى النهاية
ولكن من يرقده بجوارها ؟ من يعلم بأمره وأمرها ؟ من يضم عظامه إلى عظامها ؟ من يشيعه الى قبرها ؟
فلينتظر قليلا ، حتى يكتب رسالته ، ويترك وصيته ويفيق شكرى ، من نوبته الجنونية فيجد إخوانه حوله ذاهلين جزعين ، وقد أسعفوه بما لم يشعر به وبما لم يحسه فينبس متوسلا - :دعوني أنم ويصدق الاخوان هذه الدعوى الكاذبة فيتركونه وحده ولو صدق لقال : دعونى آبك باب هتاف صدر من أعماق نفسه واهتز له كيانه الجسمي والذهني أي اهتزاز وكأنه شعر بشيء من الراحة في هذه النجدة الربانية وفي هذا الملجأ العلوي الروحاني الخفي ، فأخذ يكرر الهتاف و يضغط بيديه على صدره وعلى قلبه وعلى رأسه ضغطا عنيفا بقسوة وشدة ، فيصدر الهتاف بجرس صوتى مكتوم حزن تصحبه زفرة حارة نارية يتلقاها بيدين متنا ترقى الاصابع على وجهه فترد النفس الناري الحالي عليه فاذا به كله متوقد باللهيب ؟
كان لهذا الهتاف أثره السحري على نفسه الثائرة المتمردة ، فهى تتراجع رويدا رويدا عن خاطر النافذة المفتوحة في القطار السريع وعن خاطر القفز منها للحاق بعالم الفناء وهي تخنع وتذل ثم هي تتجه ببطء لشيء سمع عنه ولم يدرسه وهو : القدر ؟
وكأن الفتي المجنون قد استرد شيئا من ذا كرته الضائعة في هذا الليل البهيم وبعد نكبته الفادحة فهو ينشط بعد افاقته ثم يطل من نافذة القطار ولكنه لا يوجه نظره للارض التي كانت المرمى منذ دقائق ،

وأنما يوجه نظره للسماء ؟

السماء ؟؟ ماذا في السماء ؟

لا تسألني أنا وانما سله هو ، وانظر اليه وقد رفع يديه بخشوع وقد سقطت دمعتان بخوف واحترام وتقديس وقد خرجت زفرة يحف بها أبلغ ما في قلوب البائسين من مشاعر ومظاهر وعلامات الا كبار والإجلال

السماء ؟؟ ماذا في السماء ؟ آه أخيرا، وأخيرا ايها الشاب المتمرد المغرور المغمور ببحر الحركة المادية الطاغي المأخوذ بأنوار الصالات والبارات والمنتديات والمراقص والملاهى اختلس من عالم الروحانيات بضجيج المدنية وعجيجها وتيارها القوى الاندفاع اخيرا واخيرا تتذكر ايها الشاب السماء ومن في السماء ؟؟ نعم : هو الله ، ولا أدري لم يبحث عنه الناس صعودا للسماء ولا يبحثون عنه هبوطا للارض ؛ نعم : هو الله ، الذي لا نذكره في الرخاء - ولا في النعيم - ولا في اللذة - ولا في الراحة - وانما نذكره فقط عندما نحتاج ؟ ، عندما نحتاج ، ولست ازيد ورتب على معنى الاحتياج وملحقانه ، ما شئت ، من حاجة الى المال - وحاجة الى الشفاء - وحاجة الى السلوى - وحاجة الى الانقاذ

نعم : هو الله ، أيها الجحود ، وأيها الكفر ، وأيها العمى وأيها الصمم هو الله ، الذي نذكر زبدة الصباح ومربي الصباح وشاى الصباح وننساه هو الله ، الذي نصلى للدرجات ونركع للترقيات ونسجد للعلاوات ونسبح بحمد الوزراء والرؤساء وننساه هو الله ، الذي نحج

لكعبة الحاكم ونقبل حجر لاظوغلى ونطوف حول بيت الوجاهة وبيت المال وننساه هو الله ، الذي نضحي من أجل السلطة بالأرواح والأموال والاخلاق والوطن وننساه هو الله ، البعيد عن الخاطر في كل ضحكة ، وكل رحلة ، وكل وليمة ، وكل سهرة والقريب من الخاطر - فقط عند الآهات والحسرات

هذا ذكر الله ، رفه عن الفتي لوعته ، وزحزح كربته ، وخفف ،مصيبته ونكبته اين كلام الله ؟

لام الله ؟ كد القى قريحته وأجهد ذا كرته واضي مخيلته فلم يظفر بكلمة لام الله واحسرتاه ؛ الف رحمة على عهد الكتاب ، في القرية والف رحمة على عهد :سيدنا الشيخ جاد ، وستنا الشيخة صلبة ، بخ بخ ومرحي مرحى الحكومة المصرية الاسلامية القرآنية ماذا علمته في المدارس ؟ ان الجواب عند المستر دانلوب ، وعند خلفاء المستر دانلوب حصة واحدة اضافية في المدرسة الابتدائية يلقنونه فيها بعض آيات القرآن كاليغاه فهو يحفظ الآيات عن ظهر قلب ولا يعلم منها شيئا حصة الديانة ، هذه تجيء في آخر النهار وقد لعب الجوع بعقل الصغير وبطنه وقد لعب الحر والعناء بأجفانه وذهنه ؟ فاذا ما تخطى دراسة الطفولة وانتقل الى الدراسة الثانوية حيث يشرع العقل في النضج وحيث تشرع المدارك في الاستواء ، كانت الكرة والجمباز أجدى على البدن من الدين على النفس ؟

اذن هناك كرة وجمباز ولا دين فاذا ما انتقل للدراسة المالية فالدين على متأخر لا يتمشى والمنطق والقانون والاقتصاد هو لايرتفع الى

مستوى العلوم العصرية والدراسات الفقهية فاذا ما تخرج الفتي لم يذكر من قرآنه ودينه وسنته وروحانيته غير خيالات وكتاب القرية وغير ايضاحات سيدنا الشيخ فاعذروه إن انطلق عدوا الى البنسيون ، الذي لم اشأ أن اسميه ؟ واعذروه اذا نسي الله ، ونسي كلام الله ، واعذروه اذا حرضته نافذة القطار، على السفر الى النار ، وبئس القرار ولا اشتدت لهفة الفتي على كلام الله وكان بين اخوانه من فريق الكرة المسافرين معه شاب طيب متدين اطلق عليه اخوانه اسم الشيخ احمد اقترب منه الاستاذ الناشىء وأسر في أذنه أن ينتحي معه ناحية هادئة لأنه في حاجة اليه تولي والشيخ احمد الدعوة المستكينة الذليلة قال : أتحفظ كلام الله كله ؟ قال : كله والحمد لله قال : أنجدني فقد أوشكت الآن أن أنتحر هنا خلع الشيخ احمد ، حذاءه وتربع ، وأخذ يرتل الآية :وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون قال وقد أخذته روعة : أعد وتمهل فأعاد الشيخ احمد، الآية الكريمة، وأخذ صاحبنا يلتهم روحانيتها التهاما وهو مطرق إجلالا واحتراما

وقرأه الشيخ احمد : ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، قال : زدنى ياشيخ احمد ، فاني أشعر بالطمأنينة تتسلل الى قلى

قال : اسمع : الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ،

قال المتي: يمينا لاذكرن الله ، وأحفظن كلام الله

قال الشيخ احمد : اذن سأعيرك مصحفي الليلة لتقرأ فيه كلام الله ولتدرك معنى كلام الله

ودفع اليه المصحف الكريم فأخذ يتلو السور سورة سورة حتى قال المنادي : أسيوطا سيوط المنكوبة لم تكن الرحلة الرياضية هي السبب المباشر لرحلة وشكرى، إلى أسيوط أنه أحب أن يغادر القاهرة ليغادر الذكريات المؤلمة ومن الصدف العجيبة أنه قبل حدوث الحادث كان قد تلقى عدة خطابات من اخوانه المحامين تحت التمرين بأسيوط ومن إخوانه أعضاء النيابة بأسيوط - وكلهم من خريجي فرقته وزملائه وأصدقائه الذين يحبونه حبا جما - يحرضونه كل التحريض على أن يشتغل محاميا بأسيوط كمساعد لأحد نوابغ المحاماة هناك ومنشأ الفكرة أن الصدف العجية ايضا جمعت بين اخوان الفرقة في صعيد واحد ولما كان شكرى يتمتع في المدرسة باعجابهم وتقديرهم فكروا في التأثير عليه حتى يجتمع الشمل وحتى تتكون جمعيتهم الظريفة من جديد وأغرب ما كان في ذلك الاغراء وذلك الأعزاز أنهم حملوا ذلك المحامي النابغة على أن يكتب خطابا يعرض فيه مرتبا شهرية قدره عشرون جنيها، وهو مرنب يمتاز عن مرتبات زملائه المحامين تحت التمرين وزملائه أعضاء النيابة لما حدثت الصدمة العاطفية وجد شكرى الفرصة مهيأة معدة ووجد في ذلك المهجر ما قد ينسيه آلامه وأحزانه ، وما قد يشغله عن ذكرى الماضي الكئيب واستقبله اخوانه على القطار الذي يصل بعد منتصف الليل بكثير وكانت مجاملة لها وقعها وأضافوه الليلة في منزل أحدهم ، ثم اتصل باعضاء ناديه حتى

انتهت المباراة وملحقاتها من ضيافة وسهرات وحفلات وعاد فريقه الرياضي الى القاهرة ، واستلم هو عمله في مكتب زميله المحامي الكبيرولم تمض أيام قليلة على حياته العادية في أسيوط حتي انطلقت القنبلة الأولى من قنابل الثورة المصرية في اقليم المنوفية ، ثم تطاير الشرر الى غيرها من الأقاليم ، واشتعلت نار الثورة في القطر بأسره ، فكانت ثورة مباركة لعلها المثل الأوحد على رجولة الأمة المصرية في عهدها الحديث ؟

وقطعت المواصلات بأنواعها بين أسيوط والقاهرة وبين أسيوط وغيرها من مدن القطر ، فكانت عزلة تامة ثم كانت الماسى لا تطمع في أن تقرأ هنا تاريخا لحوادث الثورة في أسيوط ليس ذلك من شأني ولا من شأن بطلي وأما أنا أمزج في استعراضي هذا بين الحب والسياسة والاخلاق والاجتماع وفي أسيوط اجتمع لفتانا كل هذا فقد وصلت الى أسيوط أخبار الثورة مضخمة مجسمة فهذا رجل محترم يقسم بأغلظ الإيمان آن عرب الباسل ، احتلوا القلعة ؟ وهذا آخر لا يقل احتراما يحلف بوحيده وحسونه ، أن الرديف المصرى تجمع واكتسح قشلاقات العباسية وقصر النيل ؟وهذه منشورات اليد السوداء المصرية المستعينة بالفوضويين الطليان والأسبان قد بشرت بقناه الاحتلال وفرضت إرادتها فرض على حكام الاقاليم المصريين ؟

نفت هذه الأخبار النارية روح الحماس في صدور الناس فتحفزت أسيوط وكشرت عن أنيابها وكان الحب الميت قد أوقد في صدر المحامي الناشيء شعلة من الشعر الثائر فألف نشيد وطني ملاه بالدم

وبالتضحية وبالفداء ، ثم لحنه تلحينا شعبيا سهلا وأذاعه ، وطبع منه الطابعون اكثر من عشرين الف من النسخ وزعوها على الجماهير وعلى المخادع وفي العزب والكفور وكانت نغمة الائتلاف بين الأقباط والمسلمين انشودة تلك الأيام فترنم بها في نشيده والقاه في الكنيسة في صباح يوم من الأيام ، فاذا بالناس تموج موج يوم القيامة واذا بالشر المقدس الوطني المتشفي السفاك يدفع الجموع دفعا نحو الانجليز وزحف البؤساء العزل زحف الأسود الكاسرة المقامة الأظفار والانياب على مستودعات الذخيرة المحلية وعلى سلاح البوليس فيتخاطفونه تخاطفا ويتقلدونه فارغا ومملوء ويتكون في لمح البصر جيش الثورة من الجلاليب والزعابيط وعدتهم عبوديتهم الكريهة التي طال عليها المدى ، وهناؤهم المالي والعائلي الذي سطت عليه أهوال السلطة ، فغيبت فلذات الاكباد في فلسطين والتهمت الذرة والقمح والخير والجمال ورزق العيال وقوتهم

ويصبح الصائم ويهتف الهاتف: إن فيصلا ، شيخ العرب الغضنفر والصنديد الذي لا يقهر قد تقلد القيادة العامة ، ثم يسمع الناس بعد قليل صوت الرصاص في المليان ويخيم الظلام فتشتد المعركة وتحتد ثم فجأة تنطفىء الأنوار في أسيوط الكبيرة ويسودها الظلام ان وابور النور قد تعطل ويختفي الناس في دورهم ويحكمون إغلاق الأبواب ، وقد انتشر الذعر فتسلل الى كل بيت والى كل قلب ثم فجأة تندلع النار هذا متبن السلطة ، المكبوس المكدس على مقربة من جدران المهارات والقصور في أسيوط قد أصبح محيطا لا من الماء ولكن من اللهيب

والنار ترتفع وترتفع ثم تلقى بأذنابها الطائرة على المباني القريبة وينتهز الاشرار الفرصة فيقتحمون الحوانيت سالبين ناهبين متاجر الأجانب والوطنيين سواء بسواء وتوحد الاسر الأجنبية وتحصن وراء الأبواب بالدموع وبالدعوات وبالانين ورجال الحكومة قد أسقط في أيديهم من الكبير الى الصغير فتلاشوا جميعا وقنع كل واحد منهم بمخبأ ويتملجأ وتختفي أسيوط ، فلا ترى فيها ولا تسمع الا الظلام والا الرصاص والا النار والا العويل فتحترق في تلك الليلة السوداء المجنونة وجد شكرى ، واخوانه الأغراب من أعضاء النيابة والمحامين الناشئين أن البيوت الكبيرة قد أوصدت وحولها الحراس من فلاحيها وزارعيها خوفا من الثورة الثورة ضد الأفكار ، والثورة ضد الثروة + نعم كانت حقا ثورة ضد الانجليز يقودها بعض المتنورين وثورة ضد الثروة يقودها الأشرار الفقراء أما ثورة الانجليز فكانت تدور رحى معاركها حول مدرسة الأمريكان وحول الخزان وأما ثورة الثروة فكانت تدور معاركها في الحوانيت والمتاجر وكان شكرى ، وإخوانه الأغراب يتحصنون في شقة أحد الزملاء ولكن شكرى بعد نكبته العاطفية كان لايزال ذاهلا شارد الذهن لا يقوم روحه بشى سمع في الشقة المجاورة أنينة ، وأحس بكاء وعويلا ، فاتجه نحو الباب وأخطر من بداخله بأنه رسول أمان ففتحوا له وجد أمامه - ويا طول ما وجد - نساء وأطفالا رضع وغير رضع ورجالا كالنساء والأطفال وأجانب ، يكاد يميتهم الهلع قبل أن يصيبهم الرصاص أبت سخافته في هذه اللحظة الرهيبة إلا أن يلقي عليهم محاضرة في روح الحركة وتزاهة

الحركة ولكن من يسمع ومن يصدق وألقت سيدة وقورة بجسمها على قدميه تقطعهما تقبيلا وتوسلا وهي تشير اشارة متخاذلة نحو باب العمارة ، وكانت عمارة محمود باشا سلمان رجل الصعيد العتيد ، وولده د محمد باشا محمود، أحد المنفيين في مالطة ، ومن أجلهم قامت الثورة واندفع شكرى ، نحو الباب يتبين ما يجري فاذا به يلمح صفائح البنزين المنهوب من مخزن مجاور ، قد رصت رصا على محاذاة جدار العمارة ، وإذا به يشهد - ويا لهول ما شهدا -الثائرين يوشكون أن يشعلوها بعيدان الكبريت زار في وجوههم زئير اليائس المستميت فقال أحدم : هنا انجليز ، قال : أخطأتم بل هنا أجانب ، وهنا أمهات وهنا أطفال ولن يقدم أحدكم على جريمة قبل أن أكون أنا أول ضحية هذه عمارة محمد محمود ، ولاجل حريته وحرية بلاده ثرتم وانتم الليلة تخربون بيته وتنسفون ملكه الى الوراء الى الوراء

قال وحش من الوحوش : اسكت وهل وزع محمود باشا سلمان أرغفة العيش على الجائعين ؟ نحن طلاب قوت وكانت صدمة أية صدمة للفتى الوطني خلط جيب بين طلاب الاستقلال وطلاب القوت وخلط غريب بين الكفاح القومى والاشتراكية الساذجة وحاول اللص الاكبر أن يشعل النار فقبض الفتى على يده متوسلا ، ولكن الفقر الجاهل الكافر كان لايعي ولا يفهم حتى هتف هاتف : اسرعوا الى دكان السجائر فتركت العصابة صفائح البنزين وهرعت الى الغنيمة اللذيذة حمل بيده هو وزملاؤه الصفات ولم يرتد أحد من غواة التدخين صوت الرصاص لا يزال يدوى دويه الرهيب عمارة الميس الحديثة الطراز تشتعل بالنار

بركان التبن المكبوس لايزال يرسل الشرر واللهب كل هذا كان هينا بجانب النكبة التي حلت بمتاجر الصاغة داخل البلد أسيوط عاصمة الذهب والمصاغ أصبحت محكومة بعصابات اللصوص وحوانيت الصاغة وفيها رءوس الأموال الطائلة قد اصبحت أثرا بعد عين كان التجار الأقباط هم الفريسة ولعلي أذكر تعليلا واحدا يهون الامر فقد كانت الليلة السوداء ليلة الاثنين وكانت ليلة لم يرقب مقدماتها الأقباط لانهم يقفلون متاجرهم يوم الأحد، فلم يحتاطوا حلت بهم النكبة وكان هم الشبان المسلمين أن يصونوا الوحدة القومية وكانت مهمة شاقة وكان عسيرا على المسلم أن يقنع قبطيا نكب في ثروته عن آخرها بنزاهة اللصوص وبعدهم عن فكرة التعصب ولعل شكرى كان اتعس الناس بهذه الظاهرة وكانت مواساة الأقباط المنكوبين سخافة وتغلغل شكرى بين العصابات في الليل البهيم يعظ وينصح ولكن هيهات ثروت الثانية وفي زقاق من الأزقة سمع صوت استغاثة مكتوم نتجه نحوه في الظلام وحدق في وجه المستغيث فلا تبينه سقط على الارض قابضة على القدمين بيديه الفولاذيتين وانقلب المستغيث مثيثة فحتى على الاستاذ هديه روعه ويثيب اليه رشده وآفاق شكرى ، فأخذ يقبل شعر المستغيث ووجهه تحت تأثير طارى غريب من الجنون النصفي ثم انهمرت دموعه وأخذ يصيح : ثروت أنت هنا ؟ اذن لم تموتى ؟

كانت الفتاة المستغيثة فتاة هي بعينها ثروت ، في القوام ، وفي القد وفي اللون وفي الروح ولكنها لم تكن ثروت والفتاة المستغيثة مأخوذة بهذه الحالة العجيبة ولكنها تحس نحوه احساس الاشفاق فتمسح دموعه وتقول

له : تنبه أنت مخطى أنا طالبة بمدرسة الأمريكان واسمى، مريم، هيا انقذني وعد بي الى منترلى وشوب صديقى شكرى، الى رشده فيدرك خطر الموقف وسخافة تصوره ويعتذر للفتاة اعتذارا له خجل ويحيطها بذراعه وصدره ويقتحم بها الجماهير الثائرة الناهبة وهو كالاسد متحفز لكل مفاجأة حتى اذا استقام الطريق قليلا وخلا من المارة سالته الفتاة برقة : ألست صاحب النشيد؟

فيجيب : أنا هو يا آنسة

فتقول : لك تهنئتى واعجابي أنا أحفظه عن ظهر قلب وكل زميلاتي ثم نبكى؟

فيقول لها :ما يبكيك ؟

فتقول : جاء أي لزيارتنا قبل الحادثة ولم يعد للان فبادرت أبحث عنه وسط هذا الرعب في أظفر به وكدت افترس حتى استعنت بك

قال : أحمد الله ومن أين أبوك ؟

قالت : نحن من بلدة قريبة من هنا وسنعود بأية طريقة في أول فرصة

قال : بسلامة الله ومرت برهة واذا بالفتاة تفاجئه بهذا السؤال : - ومن ميروت ؟ قال : هي التي أتت بي الى هنا قالت : أهي من سكان أسيوط ؟ قال : بل من سكان القبور وكانت فتاة لماحة ففهمت ولم تنبس ببنت شفة فلما وصلت لمنزلها عطفت قائلة برقة وأسي : أتراها تشبهنى ثروت المرحومة ؟

قال وهو يضغط على يدها شاكر، عطفها: كل الشبه قالت : اذن ادعوك لزيارتي كما شئت أن تراها قال : أشكرك وكان أبوها على باب المنزل

ينتظرها بفارغ صبر فتلقاها بحنو الآباء ، ثم سألها : من هذا ؟
فقالت: منقذي واستأذن د شكرى ، وعاد ادراجه وهو بين ثروت الميتة وثروت الحية

الثورة الجامحة لاتبقي ولا تذر كل شيء في البلد ينهب : أنواب الحرير النفيسة زجاجات الروائح العطرية الغالية الثمن أسرة النحاس الفاخرة الاحذية اللامعة وغير اللامية الأثاث الذي لايقدر بثمن مخازن ماستين تنقل كلها حتى باركيه الأرضية يقتلع وكانت المناظر بين مضحك ومبك فهذا ثائر يحمل على ظهره والبنك والذي يعرض عليه العال الاقشة ويقف حوله الزبائن وهو ينوء تحت حمله الثقيل هاتفا : يحي الوطن وهذا ثائر آخر ظفر بجاكتة - سبورت ، من جاكتات والتنس، الظريفة فهو يرتديها على جلابيته أو زعبوطه وهذا ثائرليس حذاء من نوعين ولونين والفردة اليمني سوداء لامعة للسهرة ، والفردة اليسرى بيضاء للتنس، وتضرب الفوضى باختصار اطنابها على اسيوط فلا تحكمها الا الفوضى

فاذا ما سألت عن الحكومة : اين هى واين مقرها ؟ وجدتها متحصنة في بيوت الاعيان او القناصل محروسة بالاهالي من غير جنس اللصوص ؟ وتنتشر اشاعة : ان الطيارات الانكليزية على وشك الوصول لتلقي القنابل على المدينة المائية المانحة فترى في الحال رتلا من العربات الفاخرة تحمل الأعيان وتحمل والحكومة بموظفيها الكبار وتنهب الأرض نهبا الى اين ؟ أتدري ؟ إلى الاسبتالية الأميرية لتلوذ الحكومة ويلوذ الأعيان بالبناء المقدس وليختفوا فيه تحت حماية

المرضى وذوي العلل والأسقام وتسمع في السماء ازيز الطيارات فيملا الذعر قلوب الثائرين وغير انثائرين ويلوح الشبح المخيف في الجو فيدور دورة أو دورتين ثم يهدى تحيته البليغة إلى المدينة : قنابل
ويشاء ربك الحكيم الجبار أن تسقط القنابل على الاسبتالية مخبأ الحكومة وملجأ الأعيان والموسرين والارستوقراطيين بعد أن أجلوا عنها المرضي وأنصاف الموتى ويتحكم الهلع في الرموس وفي الأبدان وفي الأذهان وفي الألسنة فلا يلد الا مظهرة واحدة : الذهول
واستراحت القنابل واستراحت الطيارات بعد أن خطفت عدة ارواح صغيرة لاطفال صغار وبعد أن أسكتت صوت رصاص الاهالى الثائرين وينزوى الاستاذ شكرى ، في غرفته بالفندق وهو يمزق شعره ويلطم خده من الغيظ ومن العجز يسائل المسكين نفسه بذل وجبن وانكسار : أيصعد الى السماء فينازل الطيارات ؟ ام ينزل إلى الأرض فيكافح العسا كر الهنود ؟
هو يهتف إلى النزال الى النزال ولكنه يلوح بيديه أسوة بالمرحوم المبرور ودون كيشوت ، البطل المغرور ويدق باب الغرفة فجأة فيأذن بالدخول .
الخادمة تحمل ورقة صغيرة فيها هذا الاسم : ثروت ، وتدخل الآنسة مريم، وعلى ثغرها ابتسامة شجاعة فتلتقي تحية ساذجة بعيدة عن التكلف والتصنع وعلى الطريقة الانجليزية المهذبة المحمية الى القلب والنفس برهة : ما أدتها وأرقها وأصعبها في التحليل دهشة ، وعاطفة ، وتقدير ، وحيرة ويغلق الباب ولايدرى واضع هذا الاستعراض من

أغلقه : أهو الخادم ؟ أم الاستاذ أم الآنسة أم هو الجماد أغلق نفسه بنفسه بر بهذا الطهر وهذا العفاف ؟

قالت : هل يحرجك وجودى ؟ قال : مطلقا يا آنسة ، بل بالعكس وجودي الذي يجرحك قالت : لا يعنينى ، أنا أسيوطية وأنت في أسيوط غريب قال : شكرا قالت : نعم غريب وحزين أيضا ومهدد بخطر قال : شكرا قالت : وعدت وثروت الحية بالزيارة في تفعل ، فها هي تسعى اليك قال : شكرة قالت : خشيت عليك من الطيارات فجئت لأطمئن ولمحت الفتاة اللماحة في عينيه دمعتين فاخرجت منديلها الصغير الأنيق وهفت به وبأناملها عليهما ، فاستولى على يدها الصغيرة يقبلها بضعف واستسلام هاى تلذ لك أيتها القارئة الصغيرة وأيها القارىء الصغير رواية هذه المقابلة العجيبة ؟

كان من رأي آن اضن عليكم بالتفاصيل لولا أنها تكاد تكون خالية من التفاصيل هو مشهد من مشاهد السينما ولا عجب فالفتاة لا بد قرأت كثير من الروايات وشاهدت كثيرة من الافلام السينمائية ووجدت في صاحبنا بطلا من الأبطال الذين شاهدتهم أو قرأت عنهم فاقدمت وفي نفسها أن تفاجئه لتواسيه و ثروت ، عندها قصة ومثار للفضول وحب الاستطلاع وهو غريزة الفتيات والجنس الناعم على العموم اذن لنهمل الخطر جانبية ولنحتقر الطيارات مؤقتا ولتجاهل

أسيوط المنكوبة لحظة وليتكلم شكرى ، طويلا عن ثروت بسذاجة الفتيات

لئن قلنا عذر الأنسة ومريم، فكيف نقبل عذر الفتي الناضج شكرى ،

وقد أخذ يروي قصة و ثروت ، بأسلوب تركب من الحماسة ، والدموع ، والتهدات ، والحسرات؟ يقول بعض خبراء العواطف : إن » الخطر ، بلد العاطفة بسرعة

البرق أليس هو الذي يعطف القلب على القلب ؟؟ أليسي هو الذكرى الرائعة الرهيبة التي لا تفارق الأذهان في مختلف الأسنان؟ وما هو الحب ؟ هو عندي بلا تطويل ولا اطناب : مجرد والذكريات هل فهت ما اقصده من هذه العبارة الموجزة ؟ إن كنت لا تزال محدود الذكاء فاعلم أن عاطفة نشأت مريعة بين شكرى، ور مريم ، ولكنها شيه و مبتكر في عالم العاطفة أما شكرى ، فدفاعه ان هذا الشيء ، نحو ، مريم ، هو الوفاء كل الوفاء ثروت، أليست تشبهها قدا ، ولونة ،وروحا ؟؟ اذن هو لا يخون الميتة بهذه الحية وعجيب هذا الوفاء للاموات أنه يشعر رغم هذا التحليل بشيء من وخز الضمير ولكن ما أرحمك يارب موت العزيز علينا فنشيع جثته بكل مظاهر الحزن والجنون والوجيعة فاذا ما ضمنا المأتم في ليلته الأولى لم نتعفف عن السمروعن تبادل النكات وعن الضحك؟ وتغيب في أسرع من رد الطرف ذكرى العزيز ويغيب الوفاء ليس هذا في نظري جحودا ونذالة وإلا كان جحودا من أخس أنواع الجحود ، ونذالة من أحقر أنواع النذالات انما هو الله ، سبحانه وتعالى يبعث الصبر الى نفس المحزون بقوة تفوق قوة الحزن ردة لفعل الصدمة فتخدر الأعصاب المتوترة، فتعود في الحال سيرتها الأولى فينسى الاحياء الاموات في أقرب الأوقات أما مريم، الصغيرة الناشئة فقد أحدث الخطر في نفسها هزته الأولى

ثم أحدثت المفاجاة الثانية الهزة الثانية ثم استفز عواطفها الفضول ثم لذ لها أنها تشبه فتاة من أجلها سالت دموع شاب معروف ، ومن أجلها حدث تشنج واغماء ، ومن أجلها تجلت عواطف قوية فيها لوعة وفيها أنين ولا يغرى المرأة الصغيرة او الكبيرة غير الاعجاب المضمر أو الصريح

ثم أتدري الذي أشمل هذه العاطفة الصغيرة الحجية ؟ انها الغيرة ولو من ميتة ؟ والغيرة من الاموات عنصر فذ معقد من عناصر غريزة المرأة ؟ انها غيرة لا تصل إلى مستوى التشي أو الحقد او المقت وأما هي غيرة والسلام ولا تستكثر هذا التحليل على فتاة في سن الثامنة عشرة أنك ان اتجهت إلى هذا النقد عددتك محدود التجربة في عالم الفتيات وليس هذا مجال الدفاع عن نظريتى بتطويل وانما أقول باختصار :

تلك هي تجاربى وكفى هذه هي نفسية الفتي ونفسية الفتاة حين كان شكرى، پروى ومريم، تسمع وحين كانت الثورة في أسيوط تسكن أمام صوت مقذوفات القنابل ولكن احتشام الشاب الأصيل والشابة الأصيلة كان يحول دون كل تلميح او تصريح كانت العواطف تتفاقم بحذر وتحفظ وجبن وكانت الألسنة خرساء والعيون تغالط ولكن الروحين تتقاربان وانتهت المقابلة على رسميات ، فيها حوار وعلى مواعيد ومقابلات فيها خفر وحياء لم تكد الفتاة تلتفت نحو الباب حتى سمعت أسيوط دوية ثالثة هو مدفع المتر اليوز، قد ركب وسط الخزان واطلق ثأره يمينا ويسارا فآباد مخلوقات ومخلوقات ورأى شكرى، من واجه

أن يصحب الفتاة الى منزلها في عربة فركبت مكرهة وركب مكرها حتى اذا وصلت الى باب منزلها ودعها بارتباك وعاد في الحال الى غرفته ثم أغلق بابها وهو في أشد حالات التهيج والسخط ثم نظر في المرآة وخاطب نفسه قائلا : انت نذل ثم ارتمى على سريره يبكى الوفاء - ويبكى عدم الوفاء ثم زفر زفرة وهمس هاتفا : غفرانك يا ثروت القرون الوسطى وما شأن القرون الوسطى بسنة ١٩١٩ ؟ بل وما شأنها بأسيوط ؟ سل الجنود البريطانية الاسترالية الهندية الزاحفة نحو اسيوط سل النيابة العمومية والانجليزية القائمة في أسيوط سل المحاكم العرفية ، المنعقدة في اسيوط سل الضحايا وأذرف الدمع على البلد الذليل المسكين

انطفأت نار الثورة في عاصمة الصعيد وابتدأت نار السلطة في الاشتعال اقرأوا الأوامر الآتية :

ويجب على كل مصرى كائنا من كان أن يؤدي التعظيم العسكري لكل بذلة رسمية من بذلات جيش جلالة الملك البريطاني في الطريق

:يجب على كل صاحب بيت تطلب السلطة العسكرية تفتيشه أن يفتح الأبواب في الحال ، ويجب على من اتصل بعلمه اى تفصيل من تفصيلات الاضطرابات أن يقدم البيانات في الحال ، سمعنا وأطعنا٠

هم محن نؤدي التعظيم العسكري اللازم لكل بذلة رسمية، ولو كانت لسواق سيارة ، او لسائس حصان هانحن نفتح الأبواب لعساكر السلطة السكارى المترنحين ثم واحسرتاه ها هي البلاغات تنهال كالمطر على المعسكرات وتربع ومكنونن ، مفتش الداخلية على العرش وملك وحكم

وسطا كرباجه ، على ظهور المهندسين والمعلمين في القهوات والمنتديات العامة وذل له الكبار والصغار والحكام المصريون والمحكومون المصريون

وتسلى العساكر الانجليز بالرصاص يداعبون به أرواح المارة من باب المزاح وتضيع الوقت مادامت أرواح هذه الخراف بغير ثمن ؟ في وسط ذلك الرعب طأطأت الرؤوس جميعا ما عدا روس صغيرة لينة طرية تراصت تحت أعلام غير منكسة ، بل تحت أعلام مرفرفة في الهواء متوثبة نحو السماء يهدرون هدير البحر ويزآرون زئير الأسود منشدين : وطني وطني وزحف الجيش الصغير الوثاب نمو دار أحد أساطين الزعماء - بسيوني بك - وحاصر القضاة والمحامين في اجتماع عقد باسم النصيحة والتهدئة ، واذا بالجيش الصغير ينتفض جيشا عرمرما بارز القلوب والانياب ، والأظافر ، واذا به يصطف صفوفا منتظمة ، وينتظم فرقا ، وضباطا ، وجنودا ، وحملة اعلام

وخطب القائد الصغير الأول فقال : وجاءت أخبار الاعداء بأن جيشهم زاحف وان رصاصهم دم دم ، فأعددنا العدة للمعركة وسلاحنا سلاحان معنويان : قلوب ، وايمان ثم نهض القائد الصغير الثاني فقال : قيل لنا أن دم دم، هذا رصاص مسموم ينقل من الاولى الى الأخرى في ثانية فاعدنا له عشرة اعلام وعشر ضحايا فاذا سقط حامل العلم الأول تقدم وريثه حامل العلم الثاني وهكذا حتى تبيد فرقتنا وتسقط أعلام مصر على جثث فتيان مصر

هنا قام احد البارزين فما كاد يفتح فيه بالقول اللين حتى أخذته الصيحات

من اليمين واليسار ومن الأمام والخلف وحتى امتلات جوانب المنزل بالنشيد الناري
نشيد الاستاذ شكرى، ووراء صفوف الفتيان انتظمت صفوف الفتيات وعلى رأسهن القائدة مريم؟ أولئك كانوا طلبة مدرسة الامريكان لم يشهد الاستاذ شكرى ، في حياته أبلغ ألسنة ، ولا أعمر قلوبا ، ولا اعنف عزائم ، من ألسنتهم وقلوبهم وعزائمهم
وحينا حاول الزعماء المجتمعون أن يخففوا من حدتهم وبادر الوشاة فبلغوا معسكر السلطة أن الضحايا ، الفتية قد باعت سلفا - للوطن الأرواح والابدان فخشيت السلطة تجدد الفتنة وألقت السلاح ، وفرغت في الفاضى ، الرصاص المسموم وأنقذ الطلبة الأعزاء أسيوط الكبيرة من نكبة دامية ولله در طلبة الأمريكان نصر الثورة الذي ضرب المثل الأعلى في معنى الثورة ومعنى الفداء أمطرت سماء الخسة والنذالة وابلا من البلاغات على ضباط السلطة القضائيين وبدأت التحقيقات تسير بسرعة البرق وصدرت أوامر القبض كرصاص المتر اليوز ، تصيب من في طريقها بريئا كان أم غير برى كبيرا كان أم غير كبير
تلك كانت تحقيقات تليها محاكمات وفيها سين و جيم ، وأخذ ورد اما كانت بجانبها طلقات نارية يطلقها العسا كر الانجليز على من يتوسمون في شكله ، وعدم انتظام تقاطيعه ، وقلة انسجام ملابسه، أنه مجرم مثل هؤلاء كانوا لا يستحقون قبضة ولا تحقيقا ولا محاكمة علام ضياع الوقت وضياع الحبر ، وضياع الورق ؟
الرصاصة السريعة هي المحقق وهي المحاكمة وهي المنفذ والقبور

موجودة في الطريق ، وفي الزوايا ، وفي الازقة ورحم الله من لم ترحمه السلطة العسكرية ؟ رد من بين الضحايا المرحوم كامل ، مأمور البندر أتدرى ماكانت تهمته حينها فاجأه الثوار محاولين اقتحام الابواب لاغتصاب السلاح اتصل
بكبير الحكومة طالبا الأمر فقال له : تصرف واتصل بالمستر مكنوتن ، الانجليزي متل السلطة العسكرية فقال له : تصرف
واتصل بقائد القوة العسكرية القليلة الموجودة إذ ذاك فقال له : تصرف

وتصرفت الضحية المسكينة بالشدة تارة ، وبالنصيحة تارة أخرى، وبالخداع حينا ، وبالاغراء أحيانا وكان وحده هو الكل في الكل والباقون متحصنون إما في المحال، أو في المغاور أو في المستشفى ، وخفف تصرفه الحكيم من حدة الحوادث ثم ذهبت الأيام فاذا به يحاكم على انه تصرف، واذا به يتلقى حكم الاعدام ، واذا بجثته يحملها في الفجر اعوان السلطة فيلقونها تحت أقدام عياله واولاده ليبحثوا لها عن حفرة إلى رحمة الله أيها البري لم يكن الاعدام لجريمة وانما كان القصد منه هو الارهاب ، وصادفته القرعة وقبضت السلطة على عدد وافر من الزعماء والاساطين الذين كانت مهمتهم في أسيوط هي النصح والارشاد وكبح جماح الثورة والثائرين ؟ لم صعب عليك ان تفهم منطق السلطة العسكرية قاعدة فضائية عندهم لا تقبل مناقشة ولا لجاجة : و أن من كان يملك النصح والارشاد كان يملك منع الثورة فهو مجرم وامتلات السجون ولا أريد ان اطيل عليك الحديث فهو لا ينتهى

اهرب واهرب كل صغيرة في ورقة صغيرة وجدها شكرى ، في غرفته والخط كان خط مريم شكرى ، كان يعلم تمام العلم أن السلطة العسكرية كانت إذ ذاك سلطة غاشمة ويعلم انه الف نشيدا ألقاه على آلاف المجتمعين في الكنيسة يوم المعركة الأولى ، وكان يعلم أنه من السهل جدا ان يقال عن نشيده الناري إنه المحرض الاول للثورة ويعلم انه من الميسور جدا أن يكون الجزاء لهذا المنطق المتسلسل المنسجم انما هو : الاعدام

ترامى له هذا الموقف بكل ما فيه من خطر وبشاعة وروعة فهل تدري ماذا كان احساس فيلسوفنا الصغير الطائش نحو هذا الانذار ؟ إنه أخذ يقبل الورقة مثنى وثلاث ورباع أليست من مريم ٠٠٠٩أليست من شبيهة ثروت ، ؟ أليست من الصغيرة الناشئة العاطفة ؟ أليست تضمن نوعا من العطف ومن الوفاء ؟ ثم من الخوف عليه لا لا يجب ان يذهب توا للبحث عن : مريم، ليعرف منها التفاصيل التي تهدد حياته كانت هذه هي الحجة الظاهرة المقبولة أما الحجة الحقيقية فكانت : فرصة للقاء

هي : ألم تهرب بعد ؟ هو : وهل أستطيع هي : كيف وباية طريقة وفي الحال هو : وبدون ان أراك ؟ سكتت مريم، عندما ابدى شكرى هذا الاعتراض ولكن الفتاة كانت جادة غيرهازلة وفاضت عواطفها وأخذت تقبل يده بشدة

قائلة : اهرب اهرب انك في خطر قال : أين والدك قالت : ذهب ليبحث لنا عن وسيلة للسفر سنغادر البلدة الكريهة في الحال قال : اذن

حق على الهرب وتشجع فاخذ يدها اليمنى بين يديه ولكنها لم تعطه الفرصة برجولة وكبرياء قال : لعلى تجاوزت حد الادب
قالت : بل تجاوزت حد الجنون اسمع يا شكرى ، ليس الوقت وقت عاطفة أنهم قد شرعوا يحققون في نشيدك ولى قريب يشتغل مع رجال التحقيق أبلغني هذا فذهبت اليك ولم أجدك وخوفا من رضياع الوقت تركت ورقة وكلمة ثم اسمع ماذا فعات بعد ذلك : بحثت عن المطبعجي ، وعرفت اسمه ومكانه وقام معي فورا فاتاف المسودة التي بخطك واتلف النسخ التي في عهدته ثم مررت على بيوت زميلاتي بقدر الاستطاعة فمزقنا النسخ الموزعة عليهن ثم ذهبت إلى المكتب فاخطرت مصطفى افندى ، الوكيل بالموضوع ثم أوصيت قريبي الذي يساعد المحققين بك وبشبابك خيرا قالت هذا كله بحماسة ورعشة ثم جلست على كرسي وألقت برأسها بين يديه فاذا بهما مغمورتان بالدموع ومرت لحظة ثم انحنى الفتى العاطفي يلثم شعرها بفمه ثم همس في أذنها قائلا : اتركى نشيدى وتكلمي عن قلبك وعن قلبى قالت بعد تردد وصمت : دع الحديث عنهما للمستقبل قال : أنك قبطية ؟ قالت : ماذا تعني ؟ قال : انى مسلم قالت : لم افهم شيئا قال : هل يمكن ان نلتقي؟ قالت : بعد ان يستتب السلام ولم لا؟ قال : لم تفهميني هل يمكن ان نلتقى تحت ظل عقد مقدس .
انتفضت الفتاة وقد تورد خداها فتجلى جمالها القبطى وامتزجت خمرة اللون بضعف الحفر فكانت سحرا وسحرا وحلالا
وتمتمت قائلة : شكرى قال : نعم يامريم قالت : النشيد قال : بل

القلب قالت : اعد السؤال قال : هل يمكن ان نلتقى تحت ظل عقد مقدس ؟ قالت : عندي الجواب ولكنى قال : ماذا؟ قالت : خجون قال : اذن لن اهرب قالت : أتوسل اليك قال : حتى تحيي قالت : اتعدني أن أنا أجبتك عن سؤالك ان تهرب في الحال ؟ قال : في الحال قالت : أعد السؤال قال : هل يمكن ان نلتقي تحت ظل عقد مقدس ؟ قالت : أمم قال : وكيف ؟ قالت : الدين هو القلب قال : أتسمحين إذن بقبلة ؟ قالت : هاكها وقبلها قبلة الطهر قبلة جبانة خجولا مترددة نزقة لم تستغرق ربع ثانية وانسحب مسلوب اللب وهو يقول - : إلى اللقاء وهي تجيب :الى اللقاء عندما يقرأ القراء كتاب قد تستفزه بعض النتائج السريعة في المواقف الغرامية والاجتماعية هذا الوعد السريع بالزواج ، وهذا الاتصال القلب السريع بالفتاة القبطية ، قد يكونان في نظر بعض القراء مأخذ و محلا للنقد ليكن لست أدون وقائع خيالية من رأسي وأستمد تصويرها من خيالي ولست أنقل لكم المثل الصحيح للتجارب الصحيحة وأما أنا أنقل لكم بأمانة حقائق وحوادث مادية وقعت بالفعل كما قدمت في المسألة الأولى ليفهم القراء جيدا أني لست بالمؤلف بالمعنى الذي يفهمونه فان كان ثمة ملاحظات فمسئوليتها على ابطالي

واذا أنا راجعت صديقى شكرى ، وقلت له : كيف يتحول قلبك في مدى اربعة شهور أو خمسة شهور الى فتاة حية وقد دفنتها بجوار فتاة ميتة ؟

قال وهو يتأوه : آه لو دخلت قلبى وخصته أنه ما نسي الميتة ولن يجحد الحية أن الزواج ، ياصديقي هو علاج المنكوب في الحب ان الزواج ،

هو البعث وانه هو السلوى ثم أنصفني وخبرنى من أحبيت ؟ أليست هي التي رحلت بقدها وجمالها وروحها ؟ ثم ماذا أقول في الخطر الذي جمعني بها وعرفنى بشخصها ؟ ثم ماذا أقول في عطفها وخوفها على وفي لوعتها على حياتي ؟ ثم ماذا أقول اخيرا في قلبى ؟ تالله لو اقنعتي بأنه جحد أو خان لسحقته ولكى اسائله في ظلام الليل وفي هذا الخطر فيقول : هي - وهى ؟ وان لقلبى مطيع تاجر الحمير

رعان افندى ، ضابط بالمدرسة الثانوية يساعد هو الآخر المحققين ولكنه كان لا يسلو الخمر فهو دائمة ابدا متزن قابل شكرى ، في المساء فمد شكري، يده لمصافجته فقبض عليه وهو يهتز سكر وذعر وقال : الوداع ؟ قال شكرى : من تودع ؟ قال : أودعك لقد بدأوا يتحرون عنك وعن نشيدك في هذه اللحظة وفد أحد القضاة ممن يحملون اليوم منصبا من أسمى مناصب الدولة القضائية ننصح شكرى، بالفرار فورا إلى ساحل سليم وابلغه أنه كلف من سعادة المدير بتبليغه هذا الانذار قال شكرى : ان الفرار دليل الجرم ثم بأي حق أنكب عائلةمحمود باشا سليمان ، بجريمتى ؟ لا، سأبحث عن طريقة أخرى وقام من فوره فبحث عن وكيل المكتب وصفى سلمه أوراقه وأشغاله ثم علم ان زورقا بخاريا سيقوم في الصباح الى ديروط، يحمل فرقة من الجند تحت رياسة أحد الضباط الشبان ومعهم مرتبات المركز فقال في نفسه : أن الشباب يحن إلى الشباب فلاحاولن أن أندس في الزورق البخارى مع العساكر ، حتى إذا ما وصلت الى ديروط وتابعت رحلتي على الركائب أو العربات من مركز الى مركز ، ومن اقليم إلى اقليم ، حتى

أصل إلى بني سويف وقيل ان شركة كوك ، تنقل الركاب من بني سويف الى القاهرة حيث تنتهي رحلتي، وتتحقق نجاتى وفي الصباح المبكر نهض شكرى ، متسلحا بالكتمان إلى حيث يوجد الزورق البخاري والعساكر والضابط الشاب وشرع الزورق يتحرك ففز فيه ولكنه لم يشعر إلا والضابط الشاب ينهال عليه بعصاه هو وعساكره ليحولوا دون نجاته وضاع الأمل واضطرب برنامج الرحلة من أوله لآخره وعاد بعد أن ودع النجاة ليستقبل الخطر وفي طريق العودة وسط المزارع ارتمى على جذع شجرة يفكر في شيئين مريمو حياته وكان التعب قد أخذ منه مأخذه وشعر أنه في حاجة شديدة إلى النوم ولكن كيف ينام قبل ان يطوف بدار الفتاة واتجه نحو الدار فوجدها مقفرة وعلم أن الأسرة القبطية رحلت إلى مسقط رأسها وعاد إلى الفندق فوجد غرفته لم تحتل بعد ووجد على المنضدة ورقة صغيرة أخرى فيها هذه الكلمات **:** سيصلك رسول وخطاب عند وصولي باخبارى فدني بأخبارك فان كنت قد سافرت فاكتب إلى بعنوان والدي لاطمئن على سلامتك لك عواطفي وعهدى وكان الموقف يستلزم عملا حاسما وسريعا ولكنه لم يوفق للعمل الحاسم السريع في اليوم التالى بل شعر بوحشة لم يشعر بها طوال أيامه بأسيوط فقد كان اخوانه الموظفون يتحاشونه ويتباعدون عنه اذ قد سرى بينهم انه محل تحقيق ،وفي المساء وفد عليه شاب اسمر اللون ، عصبي المزاج ينتفض خوفا وتقدم الشاب فعرفه بنفسه بصوت خافت قائلا : أنه قريب : مريم ، ومساعد المحققين ثم ساءله بلهجة الخوف : الم تدبر أمرك بعد ؟ قال : درت وفشلت

قال : لايزال في الوقت متسع إن أوراقك تحت يدي وسأؤخر عرضها ولكن لاتطمع في أكثر من يومين أو ثلاثة أيام واني ادلك على طريق لقد عاودت قطارات السكة الحديدية المسير ولكنها قطارات حربية فقط تحتاج إلى جواز سفر ، قال شكرى : ولكن من يمنح الجواز؟ قال : السلطة العسكرية فضحك شكرى ، وقال : إذن الجأ إلى الاتهام في فرارى قال : انهم لم يعرفوا شخصيتك بعد واما الكلام حول النشيد وحول البحث عن مؤلفه فعندك فرصة قال له : شكرا كيف الأسرة ؟ قال : رحلت ولكني سمعت ان في البلدة حوادث حصلت أمس واليوم وسأبلغك اياها ان تأخر فرارك قال : بالله عليك لا تضن على بالتفاصيل ثم ودعه شاكرا وانصرف الشاب كانت حالة شكرى ، النفسانية سيئة للغاية : في البلدة حوادث ولكن ما شأن مريم، بها إلا أن تذعر أو تخاف وقد ذعرت وخافت في أسيوط : لا باش ان القطار كله حوادث وتحرى شكرى ، فعلم حقيقة أن القطارات الحربية ، تسير ولكنه على ان ويصابك ، من كبار الوجهاء والاغنياء طلب جوازا بصفته قنصل أمريكا فرفض الطلب وان الحصار تام وأنه من المستحيل أن يظفر بتلك الأمنية وأخرج شكري ، أوراقه يفحصها ورقة ورقة ليعدم منها ما يمكن ان يكون محل شبهة فوجد بينها تذكرة العضوية ، بنادية القاهرى الذي تبارى مع نادي أسيوط وخطرت له فكرة طارئة فقال في نفسه : الانجليز قوم سبور يقدرون الرياضة والرياضيين والرياضة لادين لها ولا جنسية وهي تخلق بين جميع الأجناس والملل نوعا من التضامن والتساند والتعاون فلنجرب تذكرة

العضوية والهبة الرياضية ، وكان يعلم أن من بين مدرسي المدرسة الثانوية الانجليز مدرس يدعي المستر ستودن ، وكان يعلم أنه ارتبط مع بعض أقاربه في القاهرة بعلاقات صداقة متينة وكان يعلم أنه لعب أمامه في المباراة التي تمت بين نادي القاهرة ونادي أسيوط وتشجع وذهب لزيارته وعرفه بنفسه وذكره بالمباراة قال الانجليزي : كيف حال ابراهيم ، وحسين ، وكمال ؟

قال : جميعا بخير قال : ما قرابتك بهم ؟ قال : أولاد أعمامي قال : وما رأيك في المباراة التي تمت بينا؟ قال : لولاك يا مستر سنودن ، لغلبنا كم دسته واستغل شكرى به غرور الرجل وكان مبتدئا في كرة القدم ، ومن السهل اغراء المبتدئين وكانت النتيجة أنه ارتاح لمحادثته وتبسط معه ثم سأله : ولكن كيف لم تعد مع ناديك ؟ فأبرز د شكرى ، تذكرة العضوية وأطلعه عليها ثم قال له : لهذا جئت لتساعدني في الحصول على جواز سفر في القطار الحربي تأخرت عن السفر لان والدي انتهز فرصة سفرى الأسيوط فأعطاني سبعين جنيها لأشترى و حميرة به فاسيوط مشهورة بنوع الحمير ، ووالدى مزارع قال : الم تشترك في الاضطرابات ؟ قال : وكيف اني لا أعرف احد هنا وقد سافر أعضاء و النادي ، وبعد يومين اثنين قطعت المواصلات وأنفقت المبلغ ولم أوفق الى شراء , حمار واحد ، وأريد الآن أن أعود قال : تعال وأخذه الى الضابط المختص ويسمى المستر وترنك، وعرفه به وفي الحال حرر له جواز السفر على الوجه الآتي :

شكرى تاجر حمير يصرح له بالسفر على القطار الحربى باكر وجهته

القاهرة والتقط شكرى ، الجواز شاكرا صديقه الانجليزى وعاد وهو يخفي السر على نفسه حتى الساعة الثانية صباحا تفتيش وجوب جلاء الذكور عند التفتيش: في المساء نادي المنادون بأن السلطة العسكرية ستفتش البيوت حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وان السلطة تأمر بأن لا يكون موجودا عند التفتيش جنس , الذكور ، ممن هم فوق الثانية عشرة ؟ وان الطرق ستراقب ويفتش المارة من الأن حتى الساعة المحددة ؟ ما الفكرة في ابعاد الذكور ؟

روعت أسيوط كل الروع بهذا النبأ فهجرت الأسر المسلمة في الحال منازلها وقضت الليل في الجبانات على بعد كيلومترات وهاجرت الاسر القبطية إلى العراء على مسافات تتراوح بين خمسة عشر كيلومترا وعشرين وانتشر الذعر وفقد الناس الادراك خوفا على الأعراض ، العرض ؟ وما مناسبته قالوا ان الذئاب الوحشية العسكرية سطت على الأعراض في ضواحى الاقليم وهذا هو سر الهلع وسر الرعب وسر الفرار ولكن شكرى ، كان مشغولا برحلته في الصباح على القطار الحربي فلم يعبأ بهذه الحكاية

ونشر الليل ظلامه على أسيوط، الباكية ، ودقت الساعة الواحدة فكانت شبه خالية من العائلات ووجدت السلطة أنه من العبث تنفيذ الأمر فعدلت في اللحظات الاخيرة ونام شكرى ، ليلته مضطرب النفس ، قلقا ، يستشعر نكبة ،

ولكنه لايحس إلا أنها ستحل بشخصه وأخفي الأمر عن أعز أصدقائه لا من ناحية عدم الثقة بالاصدقاء ولكن من ناحية عدم الثقة بشهوات

الالسنة

وفي الساعة الخامسة صباحا نهض من فراشه وجمع حوائجه بنفسه لى القطار : وكان قد أرسل ورقة إلى قريب ، مريم، في الليل يخبره بنجاحه وسفره في هذا الميعاد وأخذ مجلسه في القطار في الدرجة الثانية أو الثالثة لا يدري ومر الضابط والجنود الانجليز يحدقون في وجهه لانه كان الغريب والمصرى الوحيد بين الركاب وأبرز لهم الجواز اكثر من عشر مرات فكانوا يقرأون ويندهشون

وفتشوه مرات كثيرة فلم يجدوا معه بالطبع شيئا وصفرت القاطرة وبدأ القطار يتحرك يا إلهي إن القدر القاسي يتمخض عن شيء عنيف رهيب كان هذا شعور انفي وقد أحس ظلاما في داخلية نفسه وهو يودع اسيوط ، المنكوبة وتحرك القطار وسار متشددا فأطل من نافذة ليودع الذكريات الكريهة والمحبوبة واذا به يرى رجلا يجري بسرعة على محاذاة القطار وهو يلهث من التعب ولسانه لايفتا ينادي: الاستاذ شكري الاستاذ شكرى

ويمد يده فيأخذ من الرجل ظرفا مجللا بالسواد الظرف بلا عنوان ممن يكون الخطاب وهذا السواد ؟ وهذه المفاجأة ؟ من يعلم بسفري في هذه الساعة إلا قريب مريم ، ؟ يا إلهى هل ينعاها ؟ ويرتمي الفتى بعد هذه الخواطر السريعة وقد خارت قواه ثم تنتابه اغماءة : لا هي باليقظة ولا هي بالحامدة والقطار يسير والضباط تمر ذاهبة أيبة وهو يفيق من المفاجأة ولا يملك أن يختلس فرصة لفض الخطاب ولكنه يشعر أن فيه نكبة ، فبكى لها سلفا وتحت الحساب ويفض المسكين التعس الخطاب

بيديه المتشنجتين فيجد الخط خط : مريم ، دون أن يقرأ فيحمد الله إنها لم تمت

ربما كان الميت أباها او امها او واحدة من نوى قرباها وينتعش قليلا

ثم يتشجع ويقرأ الكلمات الأولى في الخطاب وهاكها : شكرى حسنا توجيه عادى فيه كلفة زائلة ثم يقرأ الفقرة الثانية فتدوي في القطار صرخة داوية كالتي دوت

في غرفة المكتب منذ شهور

ويسرع الجنود والضباط فيجدون الفتي نصف ميت فيتصادقون عليه بشيء من الكلونيا، والنشادر، ثم يعود اليهم برودهم الانجليزى فيتركونه وشأنه

اعزبة في روت الثانيه ماتت مريم ياله من غبي استيقظ يابني وثب الى رشدك كيف تصدق وفاتها وهذا نعيها بخطها كيف تنبئك الميتة بأنها ماتت ؟

يا لك من متسرع اقرأ اقرأويعاود الفتى ادرا كه ، ويطمئن نوعا ثم إذا بصرخة ثانية أقوى من الأولى واذا به يهجم على الضابط وعلى الجنود ينشب فيهم أظافره وبعض أجسامهم بأسنانه ثم اذا به يتجه فجأة نحو النافذة يحاول القاء نفسه في عالم الفناء ويقبضون عليه بأيديهم الفولاذية فيسقط بين ايديهم على الأرض فاقد الرشد مغميا عليه أن بقية الخطاب كانت ما يأتي : انه نئا استراليا افترسنى حاولت الانتحار ، والوداع ياحبي ثروت الثانية ، في حي شبرا شارع نسيت اسمه يتفرع من شارع شكولانى المنزل نمرة **4** في هذا الشارع الذي نسيت اسمه

منزل أنيق وفي ذلك المنزل الأنيق ، وفي الدور الارضي غرفة كسيرة الجناح أعدت للعليل ، القادم من أسيوط يتلصص سكان المنزل حول باب الغرفة بحذر ووجل ولهفة فضول شكرى ، مريض مرضه : صفرة وهزال وشرود الثمانون كيلو هبطت الى الستين الدكتور سلمان عزمي، يعود المريض صباحاً ومساء ويقول أصدقاء المريض لأطباء :انه , البرد الشديد ، تارة أو الشراب تارة أخرى أو الخوف حينا أو جو أسيوط أحيانا اطبهم جميعا خائب : شكرى، ما شكا برد ، ولا شرب شرابا ، ولا شعر بخوف ، ولا تأثر بحو : مرضه في : القلب ولكنه مرض لم تكشفه يد طبيب ، ولم تنبيء به ساعة كان المرض ثروت ، الأولى وثروت، الثانية كانت حكاية الحب بعيدة كل البعد عن أذهان أفراد الأسرة والعشاق نوعان : نوع فياض ونوع كتوم وعند النوع الثاني العشق سر مقدس وهؤلاء هم الذين يتعذبون وصديقنا كان من النوع الثاني وكانت وطأة المرض عليه عنيفة : كان يحب أن يستلقي على ظهره في فراشه وان يسترخي وأن لا يتناول الا اللبن في الصباح ، والظهر، والمساء وكان يحب أن يدلك جسمه بالكلونيا بين حين وآخر ثم كان يجب ان لا يتكلم وكان هذا كل ما يتمناه وكان عذرا مختفي وراءه ويخفى سره المعروف للقراء ولكن كان لا بد له ان يرسل تلغرافا ولمن ؟ لوالد مريم يا للحرج ماذا يقول ؟؟ أخذ ذهنه المضعضع يفكر فلا يجود لكن كان لابد له ان يفعل ويا لجرأة العشاق أخذ ورقة وسطر بعد العنوان هذه الكلمات :أطلب يد مريم اريدها زوجة اتوسل اليك بلغها وأنقذها أعتذر عن الحضور بمرضى الشديد

شكرى وكان لا بد له من رسول جاهل لا يقرأ ليرسل التلغراف وخادم المنزل توافرت فيه الصفة فأعطاه التلغراف وزوده بالكتمان الاب والام في ناد من اندية الرياضة في مدينة من مدن الأقاليم سألتني مسز والتون ، هذا السؤال : أيهما أفضل زوجي ، أم ابني ؟ قلت : لم أفهم سيدتي جيدا عفوك ؟

قالت : المشكلة بيني وبين زوجي هي ما يأتي أنا وهو مقيمان في القطر المصري وأبى جلس، يتعلم في الوطن ، في انجلترا والولد في حاجة إلى الأشراف والى الرقابة والى الاعداد وزوجي هنا محتاجا لخدمتى لمن اكرس وظيفتى؟ قلت : لزوجك سيدتي ؛ وبلا تردد قالت : و دجلس ، الصغير

قلت : سيكبر ويترعرع ويشتد ويكد ويكافح ويطمع ويطمح ويحب وهو في كل ادواره هذه لن يفكر في الاب والام ، إلا تفكيرا ثانويا أما مطامعه وميوله وكفاحه وحبه فستحتل المكانة الأولى والمنزلة الاسمى ..

والأبناء ،عقوق طبعى هم إن أدوا للوالدين الواجب فيالبعد المسافة بين عواطفهم نحوكم وعواطفكم نحوه زوجك أولى بعطفك وحبك ووفائك وولائك وزوجك أبقى وأوفى فكرسى وظيفتك للمسكين ودعي الابن للزمن هذا شكرى ، هل بي لابيه أولأمه مثل ماقد بى ثروت ولمريم؟ هل فكر في ابية وفي امه مثل ماقد فكر في ثروت وفي مريم ؟ وهؤلاء الكبار العظام هل فكروا في الزوج العجوز ومثل ما قد فكروا في مطامعهم ووظائفهم ومرتباتهم وسعادتهم لدنيا مادية لم تترك مجالا

لعواطف الابناء نحو الآباء إلا بقدر ولكنها لم تمس بحال نار الحب المشتعلة في صدور الآباء للابناء

وتسائل الأبناء الفلاسفة في هذا الحقوق فيقولون لك بكل جرأة **:** لم يمن علينا الوالدان : إنها لحظة من لحظات اللذة والمتعة مضياها معا فجئنا إلى الدنيا رغم أنفهما وتحت ضغط البهيمية الحادة ، فهي عملية تفريخ

فاذا ما ذكرتهم بالغناء والتعب في عهود الولادة والفطام والمرض والتربية والاعداد ، أجابوك بكل جرأة : أنه واجب ترتب عليهما وأثر من آثار الجريمة

فاذا ما لمحت لهم بالسعادة التي يتمتعون بها في الحياة وبالمركز والحيثية ، اجابوك بكل جرأة : اين هي السعادة إن الحياة مضنية منهكة فهي اساءة وليست احسانا هذا العقوق الملموس المحسوس لم يغير من طبيعة الآباء نحو الأبناء فبقيت ما شاء لها الله ، بلسما للجراح ، ودواء وشفاء للابناء المرضى ، والمنكوبين والمجروحين وهكذا يقطع الفتى منا أشواطه المختلفة في الحياة فتلقاه أحضان ، وتهجره أحضان ، وتنبذه أحضان ، فاذا ما صرعه الكر والفر واللف والدوران ارتمى في النهاية بين أحضان الوالدين وهي أحضان لا تتعب ، ولا تخون ، ولا تتكب ، ولا تتنكر ، ولا تجحد ، ولا تتدلل ، بل هي تحت أمر الأبناء عندما يحل بهم الشقاء هي الكهف ، وهي الملاذ ، وهي الدير ، وهي الوقاية ، وهي الشفاء هي معبد التكفير عن الخطايا ، وهي مورد التوبة ، ومصدر الغفران وأذن الدكتور : سلمان عزمي، للمريض بعد شهرين أن يتريض وأن يسير باقتصاد وان يتناول الليمونادة والتمر هندي ،

والبرتقال وغيرها من السوائل ، فخرج من سجنه يتوكا على عصاه ويجلس في أقرب قهوة يقدم نفسه لاصدقائه من جديد بعد أن تغيرت سحنته وبرزت عظامه وغارت عيناه

أما نزهته فكانت إلى مكتب التلغراف فهو لم يتلق ردا من والد مريم فأخذ يرسل برقيات مختصرة قاصرة على السؤال عن الصحة تارة لابيها وتارة لقريبها صاحب واقعة النشيد فلا يحظى برد السيدة مريم أشفق على القراء أن أروي لهم تفاصيل الافتراس وتفاصيل النكبة وحش من وحوش الغابات لا من وحوش الآدميين ، مزهو بقوته وحيوانيته ورصاصه وحديده ،هاجم بفرقته بيوت اعيان البلدة المفجوعة في الظلام بحجة التفتيش عن السلاح، عثر على الفتاة في ركن من الاركان فامر باعتقال الرجال وحجز باقي السكان في غرفة ثم اختلى بالفتاة فكانت هي ، وهو ، والشيطان ، وأخس ما في هذه الدنيا من نذالة وعفونة وسقوط ونشبت المعركة الحامية بين الذئب الضاري والحمل الوديع وماذا تنتظر ؟

إن في المرور بسرعة على تفاصيل الفاجعة بلاغة يخجل أمامها البيان والاطناب ولن يقوي قلمي العف على الوصف وعلى الرواية وأقر بعجزي

وأفضل أن اسدل الستار وخرجت الفريسة النبيلة البريئة المختلسة من النضال نصف ميتة وقد شج رأسها وسال الدم على وجنتيها وتركها الوحش الكاسر وقد فقدت حتى الامل في الامل وجاء الاب من المعتقل وزحفت الام من الحجز وتجمع الأقارب والجيران فلما تبينوا الأمر

سقطوا صرعى أمام الفضيحة والدم في الصعيد يغلى ويفور بغير منطق وبغير تفكير فقد زحف الرجال المنكوبون على المعسكر يحاولون الأخذ بالثأر فكانت فاجعة أخرى وكانت مذبحة وعاد الأب كالمجنون يريد أن يثأر لعرضه، ولكنه لا يظفر بالمجرم أين هو ؟ ومن هو ؟ وكيف السبيل اليه إذن ليلطمن وجهه ، وليضربن برأسه الحائط ، ولكن كيف يشفي الغليل ؟

يا للخواطر السوداء تنتاب فاقدي الرشد والمجانين ان الرجل الثائر لعرضه يختطف سكينا ويشحذها شحذاً ثم ينطلق السهم إلى فلذة كبده الى المظلومة الى الجثة العزيزة الغالية الى ابنته مريم ثم يرفع يده هاتفا : ارحمني يارب ثم يهوي بها للقضاء على الفتاة وهو اذ يوشك أن يسفك دم ابنته بيديه يشل القدر العادل هذه اليد الطائشة وليس بينها وبين الأحشاء إلا ثانية أما رسول العدل ورسول السماء فكان شابا قويا شهما ، قبض على الذراع بأسرع من لمح البصر وانتفض كالاسد يزأر ويذود قال الرجل : أنقذتها قال الشاب : من ابيها قال الرجل : وهل انقذتها وانقذت أباها من الفضيحة قال الشاب : سأفعل قال الرجل : أترد العرض المنتهك قال الشاب : سأفعل وهنا يرتمي الرجل من الخذلان واليأس يبكي كالثكلى ويذرف الدمع السخين وتتنبه الفتاة رويدا رويدا تم تصرخ صرخة ما أشقاها وما أوجعها ثم تتوالى الصرخات بأنغام الدهشة، والأسى ، والوجيعة ، واليأس ، وحولها سيول الدموع الجو كله وجوم ومن يستطيع أن يتكلم ؟ بأية لغة ؟ وبأي معنى ان المصاب يعجل عن العزاء الفتاة العظيمة التي كانت كفاح الأبطال ،

وأصيبت بالرضوض والجروح لا تخضع للنكبة ، بل تنتصب واقفة وتتمتم : ليس بى شيئ اريد أن أتقيأ سأذهب الى المرحاض وتذهب أو تزحف إلى المرحاض مبتسمة ابتسامة صفراء نكراء وبقفزة لم تدركها القلوب المحيطة بها ومصابها تصل الى المرحاض بسرعة البرق الخاطف، فتقبض على زجاجة حمض الفنيك ، وترفعها إلى الفم الانيق وتوشك أن تتجرع ولكن الشاب القوى الشهم رسول العدل ورسول السماء شل يدها كما شل يد أبيها وهوت الزجاجة على البلاط تتهشم وتسيل ثم حملها بين ذراعيه الى غرفتها وأجرى لها بقوة الايمان الاسعاف بالرغم منها ثم أرصد عليها وعلى ابيها الحرس وغاب لحظة ثم عاد ومعه قسيس ؟ وفي وسط هذا المأتم يتقدم الشاب القوى الشهم رسول السماء إلى أبيها طالبا يدها يالمفارقات ويا للمتناقضات ويا للمفاجات الشاب استاذ مدرس يحمل أرقى الشهادات ويرتفع بنسبه وحسبه على اقرانه فهو مطمع كل عروس وأمل كل أب وأم ولكن الاب يجيب الدعوة النبيلة بالرفض النبيل ولكن الفتاة تستقبل هذه البشري المنقذة باللطم وبالعويل يا أرق وأرقى العواطف المتبادلة : علتك أن في طريقك كرامة وفي طريقك تضحية الشاب يضحى والاب والفتاة تحت ضغط الكرامة يأبيان التضحية ولكن هذا الشاب الجيار كان مستعدا لكل معضلة ها هو يوجه للاب السؤال الحازم : امصر أنت على الرفض ؟

فيجيب الرجل : بدون تردد فيقول الشاب : اذن وداعا وتنطلق من مسدسه على رأسه رصاصة تخيب ولا تصيب وينخدع الرجل بهذه

المناورة المسبوكة فيقبض على يد الشاب ويهتف : قبلت قبلت وينقلب المأتم الحزين عرسا حزينا ، ويتولى القسيس عقد الزواج ومريم مستسلمة

وهكذا يبر الشاب بوعده فينقذ العائلة من الفضيحة ويرد العرض المنتهك :

واجبى الهزيل العليل خروج المرض يتوكأ على عصاه ويسير ببطء إلى قهوة منعزلة في حي شبرا وكله هواجس وأفكار انقطعت صلة شكرى ، بالانسة مريم ، وبأخبارها من يوم ان أرسلت له الخطاب الاسود وكل ما يعلمه هو ما ورد في ذلك الخطاب المشئوم : أن وحشا أستراليا افترسها - وأنها حاولت الانتحار وستحاوله - وان خطبته مفسوخة ، لم يتردد الشاب الأصيل في أن يحول قدر ما يستطيع دون محاولة الانتحار ولم يتردد في اختيار الموقف النبيل فارسل تلغرافه إلى والدها يطلب الزواج من المنكوبة في أعز ما تملك ويتوسل إلى الوالد في إنقاذ الفتاة ولكنه لم يتلق ردا وكانت في الواقع مجازفة صبيانية من شكرى، فالخطبة تعرض بالتلغراف هي خطبة عجيبة ثم ماذا يعلم عنه والد مريم ؟ ماذا يعلم عنه ، وعن كفاءته ، أو ديانته ، أو حيثيته ، أو أسرته ؟ لا شي

ولكن ماذا كان يستطيع أن يفعل المريض طريح الفراش الواهى القوى ماذا كان يستطيع أن يفعل للحيلولة دون نكية الانتحار ولتحديد موقفه إزاء الفاجعة ؟

لا شيء إلا ما فعل ها هو اليوم قد استرد شيئا من عافيته وأصبح كفئا

نوعا ما
للسير وللبحث وللتحرى ولكن التلغرافات المتوالية التي لم يتلق ردا عنها ماذا كان مصيرها ؟ وماذا كان شأنها؟ وهل كان اهمال الرد لنكبة وكارثة ؟ أم لاحتقار وازدراء ؟ أم لمجرد الاهال ؟ أخذ يفكر ويفكر حتى كشف الغي فجأة أنه في منتهى الغباء كان امضاؤه الكريم على التلغرافات شكرى ، ؟ ومن هو شكرى ، هذا من بين سكان القاهرة وما هو لقبه

وعنوانه ؟إذن مريم، معذورة ووالدها معذور إذن فعل التلغراف الاول فعله بما فيه من أنذار بعدم الانتحار وما فيه من نبل وتضحية بطلب الزواج فلم يبق عليه إلا أن يذهب ورد التلغراف على والد مريم وبعد عقد الزواج بأيام فلم يفهم منه شيئا انه لا يعرف شكرى به هذا ولا يذكره هل يعرض البرقية العجيبة على زوج ابنته ؟ لا انها سخافة وحماقة ففيها وحولها ما يمس كرامة الزوج الشهم وما قد يمس كرامة الفتاة إذن مريم ، وحدها التي تعرف السر ويذهب الوالد بتلغرافه الى الفتاة - وهي لا تزال تئن من الجروح والرضوض ومن تأثير الحوادث المفاجئة - فيقرأه عليها فتنتفض مضطربة وتصدر زفرة حارة تعقبها دموع - ماذا يا ابنتي ؟ - لا شيء يا والدي ان في الدنيا اخلاقا - من مرسل التلغراف ؟ - منقذي في اسيوط

يذهل الوالد هنيهة ويعاود ذاكرته ثم كأنه يلحظ ما انتاب كريمته من ذكريات أليمة ثم كأنه يدرك أنه لا يدرك شيئا فيفر من التفاصيل فرارا ويسألها

انرد عليه بالشكر وبأنك قد تزوجت ؟

فتبتسم الفتاة ابتسامة صفراء منكرة وتغطي وجهها بيديها الهزيلتين وتستغرق في التفكير وقد تجلى أمام عينيها الموقف المدهش العجيب : كارثة - وزواج - وخطبة بعد الزواج - ونبل من الزوج - ونبل من الخطيب الغريب ؟ ويحدق الوالد في التلغراف ثم يصيح فجأة : من هو شكرى هذا ؟ انه بلا لقب وبلا عنوان فاذا نفعل ؟ قالت الفتاة : لا شي ياوالدي لننتظر ولنفكروهل تدري فيم كانت تفكر مريم ؟؟ في الانتحار وفي الانتحار دائما إنها بين نيران ثلاث : نار الكارثة - ونار الزوج الشهم - ونار المحب الوفي وكيف نوفق بين هذه الأوضاع المتباينة ان شخصيتها هي الأساس فاذا انعدمت هذه الشخصية استراحت وأراحت ولكنها تريد الانتحار كاملا لا شروعا في انتحار وهي لا تملك الوسائل وهي على السرير فلتصبر حتى تملك شيئا من قواها وحتى تستطيع ان تختار أسهل واسرع وسائل الملاك

إن الصغيرة الواهنة المهدمة ضعفت عن أن تقاوم جيوش الهم والغم والذكريات والمواقف الفذة المتناقضة ، فاشتد عليها المرض وحمدت الله على اشتداده راجية أن يكون في الموت الطبيعي ، خلاص من الموت الصناعي، وخلاص من كل ما فات واجتمع الأطباء وتشاوروا وتداولوا فقرروا نقلها في الحال إلى

المستشفى في أسيوط وحملها الأب المسكين والزوج الشهم الى مدينة الذكريات الأولى إلى مدينة الأحلام والآمال رحلة شكرى ، يستأذن والديه في الغياب يومين أو بضعة أيام عن القاهرة وهكا يسألانه عن

السبب فيقول : انها رحلة رحلة لترويج الخاطر واستنشاق الهواء الطلق بعد المرض في محله ولكن أين ؟ والجواب ليس من الصعوبة بمكان أنه يستطيع ان يلفق أكذوبة محبوكة يتخلص بها من التحقيق وقد فعل الشنطة الصغيرة الحجم التي اختارها أيدت دعواه وقد وضع فيها بعض الحاجات الضرورية لفسحة قصيرة وستتعرض حتما لهذه الحاجات الضرورية في الحين المناسب اذ كانت بينها حاجة ، تلفت النظر وجدت مدسوسة دسا بين البيجامة وفرشة الشعر ومشط الشعر ومصحف صغير فيه كلام الله وهو يطلب عربة ويساوم الحوذى على الأجرة بحساب الساعة إذن له جولة في القاهرة لا يعلمها إلا الله وهو ويقبل والديه وإخوته واخته الصغيرة ولكن ما باله يضطرب نوعا ما **؟لا** شيء انها الرحلة القصيرة والرحلة القصيرة بعد المرض الطويل ويسير الحوذى مسافة امتار ثم ينحرف إلى اليمين في شارع شكولانى ثم إلى اليسار في شارع شبرا ثم يستمر ويستمر طويلا حتى يصل إلى ميدان الأوبرا ، ثم ينحرف إلى اليسار حتى يقف أمام محل ديلدز ، الحلواني يلدز ؟ هل يذكر القراء أن هذا الاسم مر عليهم وهم يقرأون هذه القصة ؟ أين ؟ وفي أي موضع ؟ ' في السنة الماضية سنة **١٩١٨** في الساعة الثالثة بعد الظهر في ساعة القيلولة أو قبل الغروب عندما كان يحمل من ذلك المحل هدية متواضعة لصديقة النهار المرحومة وتروتا وهاهو يشترى بعض الفطائر بغير ترو وبغير تدقيق لا في الصنف ولا في التمن والعامل الرومى، مذهول يقترح فيجاب اقتراحه حتى تتم عملية الشراء والدفع فيحمل الحمل الخفيف الثقيل الى العربة

ويأمر الحوذي بالذهاب إلى بائع زهور في شارع المغربي فينتقي الزهور الحزينة الباكية ثم يأمر الحوذي بالذهاب إلى سوق الخضار بميدان العتبة الخضراء فيشترى فاكهة الموسم بجميع أنواعها حتى اذا تمت له كل هذه الصفقات وجلس في العربة سبح في بحر الخيال ويلمح الحوذى ذلك الشرود فينبه الزبون بهذا السؤال - : الى أين يا سيدى ؟ فيجيب : إلى جبل المقطم هذا قبر القتيلة وهذا القاتل موقف من أتعس المواقف البشرية وإن الزيارة هي الاخرى في القيلولة وقبل الغروب وتفد الذكريات تزاحم الذكريات ثم نتهى الى المصرع ويقف شكرى ، جامدا ثم يرتمى على القبر واهي القوى ، مضعضع الحواس حتى يأتي حارس القبور فيعني به ويقدم له الماء ويظل فتانا شاردا ذاهلا ثم يصيح : رحماك ثروت ، ثم يتطلع مستنجدا بحارس القبور ويشير الى زهوره ، وفاكهته ، وفطائره فيتولاها ناثرا الأولى على القبر ، وموزعة الثانية والثالثة على الفقهاء الذين أقبلوا مسرعين كأنهم على ميعاد ويرتلون ويقرأون ويدعون ويترحمون ثم يشير اليهم الحارس بالانصراف وينسحب على مقربة من القبر ، ويترك القبر ومن فيه لزائر القبر

يطيل الكتاب القصصيون في أمثال هذه المواقف كفاءة لا أملكها أو هى صنعة لا أحذقها ، ولا أفهمها أيضا ، وأنا قانع بأن أوجد قرائى حيث يوجد أبطالى ثم لا يحتمل الموقف بعد هذا اطنابا ولا تفصيلا شاركوا المؤلف في تصويره ولا تكلفوه عناء في ابرازه جلا وكلات وصياغة هي حالة نفسانية أحسها كما تحسونها انتم اليست شجنة وحزنا ودموعها ، وأنات وحسرات ، وأسى ؟

ثم في الموقف شيء من الوفاء وفاء المحبين الاحياء للمحبين الاموات رحمة الله على ساكني القبور انهم لا يطالبون الاحياء الا بالذكرى وها هو شكرى ، يذكر ثروت الاولى قبل أن يرحل إلى ثروت الثانية بل نعيش طالت زيارة القبر ما العمل ؟ ايعود إلى المنزل وقد ودع من فيه ؟ أم يسافر في قطار الليل فيصل في نصف الليل إلى البلدة الصغيرة فيكون محل ريبة وموطن شبهة ؟

لا ليقض الليلة في فندق ، على أن يأخذ قطار الصباح ويبيت في فندق حتى اذا ما أصبح الصباح نهض يعيد نظرة على الحاجات التي في شنطته كل ما فيها مألوف يعني بوضعه كل مسافر في رحلة قصيرة ماعدا زجاجة صغيرة فيها مسحوق أبيض؟ هذه هي الحاجة ، التي قلنا عنها أنها تلفت النظر وقلنا عنها أنها وجدت مدسوسة بين البيجامة وفرشة الشعر ومشط الشعر ومصحف صغير فيه كلام الله إن هذه الزجاجة الصغيرة ذات المسحوق الأبيض كانت محل عنايته وحرصه والمسحوق الابيض كمية صغيرة فما هو ؟ المله شبكة ، الخطبة أو هدية العاشق للمعشوقة؟ سنكشف امرها بعد حين من فضلك ويقطع التذكرحى ، التذكرة إلى ينزوى شكرى ، في ركن من الأركان يحدق في المصحف الصغير ويتلو كلام الله ويصفر القطار ثم يسير كرپر السفر طويل بماذا يقطع شكرى ، الوقت ؟ لقد تلا كثيرا من كلام الله فليفكر فيما هو ذاهب اليه وفيما عساه ان يسمع ويشهد : ولئن وجدتها فارقت الحياة منتحرة فعندى الرد السريع ولئن وجدتها على قيد الحياة فسأطلب يدها وهي لن ترفض بقى أبوها وبقيت مشكلة الاختلاف في

الدين والقلب هو الدين هكذا قالت هي فهل يقول أبوها مثل ما قالت ؟ أستبعد اذن ما العمل ؟ هل تفر معي ؟ نذالة وخسة وجريمة ليست في عرفنا ولا في عرف التقاليد واذا وجدتها قد نسيت عهدها وعهدى فماذا أفعل ؟ لا شيء أنسحب مقهورا وأعود بعد أن اكون قد سجلت وفائى وواجبي على الفروض الثلاثة : أني لتعس، ويغزوه النعاس ولكنه لا يكتحل نوما فان أفكاره وحركة القطار وجلبة المحطات وعدم توافر الراحة وثرثرة الركاب كانت كفيلة باقلاقه من حين الى حين وهو في كل انتباهة يقلب المسألة على وجوهها فلا ينتهي إلا إلى الفروض الثلاثة فيقول : أني لتعس يا عجبا أندري وقد وصل بعد طول السفر وطول التفكير ماذا قد خطر بباله ؟ أن لا ينزل وأن يعود خاطر التردد هذا لا يرد عليه إلا بعد ان يتجلى له ميدان الموقعة ولكنه ينزل أخيرا وهو يرتعد من هول ما قد يسمع ويحوطه ويحوط الشنطة، التي بيده الشيالون ، فيسأل أحدهم باضطراب ووجل وتوسل - :هل تعرف منزل , فلان افندى ،؟ فيجيب الشيال : فلان افندى ؟ فيقول شكرى ، : نعم أبو مريم ، فيجيب الشيال : آه مريم ولدى ربنا يشفي ويطمئن الفتي ويحمد الله انها لم تمت ويقفز أمام الشيال من شدة الفرح فيوقفه هذا وينبئه بأنها في المستشفي باسيوط ويحمل شنطته في الحال وهنا يصفر القطار مؤذنا باستئناف المسير فيختطف ويرمي الى الشيال قطعة فضية ويستأنف السفر إلى أسيوط - كان يجب على شكرى ، أن يتنكر وان يبالغ في التنكر انه معروف في أسيوط : في الدوائر القضائية وفي دوائر الأسر الكريمة وكان لا يعنيه أن المحاكمات دائرة وأن نشيده

كان محل تحقيق بقدر ما كان يعنيه ان لا يمس مركزه ومريم، وأسرة : مريم ، بسوء أنه كان يجهل كل شيء والظهور قد يجر إلى مشاكل فالحكمة تقضي بان يتواري قدر الاستطاعة حتى يؤدى مهمته وقد وصل في النهار ولئن كان المرض الطويل قد غير ملامحه فقد كان من الممكن ان يعرف وان يكتشف لم تكن له الا وجهة واحدة : المستشفى وله في المستشفي طبيب وصديق اختار أن يجعله موطن السر

ووسيلة الوصول إلى المريضة أخفي وجهه بقدر الاستطاعة وركب عربة إلى مسكن هذا الصديق وكان يسكن وحده هو وخادمه فلما وصل طرق الباب فوجد كل شيء لم يتغير وشاء الحظ الحسن أن الخادم لم يعرفه ولم يذكره فسأله عن سيده فقال : إنه يستريح في غرفة النوم وجلس في غرفة الاستقبال ولم تمض دقائق حي حضر الصديق - - شكرى الطبيب: شاب من سنه ومن وسطه وزميل من زملاء المدارس الثانوية الأعزاء وهذا أيضا لم يعرفه الا بعد محادثة قصيرة - أنا هو - كيف ؟ لقد تغيرت كثيرا انك مريض - نعم ومهدم - دعنا من المجاملات ، لم جئت الى أسيوط وحكاية نشيدك لاتزال حية ؟ - للضرورة أحكام وأنا في حاجة قصوى اليك وجلس الصديقان أحدهما ماخوذ بالمفاجاة مشفق والثاني متحفزيود أن ينهي مهمته - أنت في حاجة إلى الراحة بعد السفر والى الطعام - أما الطعام فليست لي به حاجة تناولته في القطار وأما الراحة فأشعر حقيقة اني محتاج اليها يا دكتور اذن تفضل ويذهب به إلى غرفة نومه فيقول له شكرى ، - :

متى تذهب إلى المستشفي ؟ - عندي نوباتجية ، الليل ، من الساعة السابعة مساء وسأبيت هناك - هل عندكم فتاة ؟ كثيراث - فتاة اسمها مريم - آه المسكينة - أهي في خطر ؟ - زال الخطر الجسمانى وبقي الخطر النفسانى

وحينئذ يهتز شكرى ، هزة جدية ويسائل صديقه بلهجة حازمة عن ثقته فيه وفي اخلاقه ورجولته فيؤمن هذا وقد تأثر من لهجة الكلام وأسلوب التعبير

-أنا محام وانت طبيب وكلانا موطن للسر وللكتمان أيضيرك أو يضير واجبك أن تجمعني بها منفردين في أية فترة من فترات الليل أو النهار ؟

-لا أني أثق بك تمام الثقة ومن السهل أن تراها وحدك بعد الساعة السابعة وسنذهب معا اشكرك انك تعاون في أمر مقدس ياصديقي وامهلني اخبرك بالتفاصيل بعد المقابلة ويقترح الطبيب الشاب على شكرى، أن يبقى في المنزل حتى يحين الميعاد ويستطيع أن يقطع الوقت في القراءة وفي الاستراحة حتى يعود اليه ثم يرتدي ملابسه ويخرج وفي الساعة السادسة يصلح شكرى ، من شأنه قليلا ويصل صديقه الطبيب وقد استرد طبيعته المرحة فيمازح شكرى ، ولكن هذا يجاريه بتكلف فيقول له : انك متعب يا شكرى ، وليست هذه عادتك أمغرم بالفتاة انت ؟ فيجيب : ستعرف كل التفاصيل فلا تتعجل ويصلان الى المستشفى ويدخلان غرفة الطبيب الخاصة وقد شمل المستشفى سكون يناسب الموقف المقبل ويدق الطبيب دقة رقيقة على باب غرفة

المريضة ثم يدخل --- : كيف حالك الآن؟ - أحسن - ان حرارتك عادية منذ أيام وقد التامت كل الجروح وسأمر بالافراج عندك بعد قليل
-اشكرك هنا يلتفت الدكتور الى الممرضة فيعرفها بحجة لا تثير شك - في غرفتي زائر غريب يريد أن يراك س- زائر غريب ؟ - نعم شاب من سني يقول انه يعرفك كل المعرفة وهو صديقي وهو مريض فهل تقبلين زيارته وهل تعديتي بأن تحسنى استقباله ؟ وهنا تنتفض الفتاة وتجلس بحركة عصبية سريعة قائلة : بس هو ؟ ويلاحظ الدكتور هذا التطور المفاجي، فيزداد دهشة من هذه - الالغاز ثم يلاحظ من ناحية أخرى أن الفتاة مضطربة مرتبكة فيخشى المسئولية ويجمد في موقفه - أنا لا أفهم شيئا ولا أعلم شيئا ظنت أني أقدم خدمة فان لم يرق لك استقباله فلن يحضر الفتاة لا ترد والدموع المتساقطة لا تني عن رفض أو عن قبول وهذي الفتاة فتقول : لا لا لا أقابله ثم تقبض على يد الدكتور وتقول : لا لا، بل يحضر تم تعود فتتوسل اليه ان ينتظر لحظة حتى تفكر وتبت ويطول أمد الانتظار ثم تلقى الفتاة برأسها على الوسادة وقد ضعفت واستسلمت وبصوت خافت تأذن بدخول الزائر الغريب ويتسلل شكرى ، الى الغرفة تسلل اللص الشريف في العاطفة ويوصد الباب يتقدم خطوة ويتقهقر خطوة وهو لا يكاد يحفظ توازنه الفتاة تخفي وجهها وعينيها بيديها هو يلقي بنفسه على كرسي بجوار الفراش وتمر لحظة سكوت وارتباك وتخرج كلمة مكتومة ضعيفة متقطعة مهتزة هي: مريم ويرد الصدى : شكرى نعم : هما مريم وشكرى قد تقابلا أخيرا وهاتفا بالاسمين ثم ماذا ؟ من يشرع منهما في الحديث قبل الآخر ؟ ان

مهمة الفتي أهون من مهمة الفتاة : عنده الامل وعنده الحب وعنده النبل وعنده الواجب وعنده الوفاء أما هي فماذا عندها ؟ عندها الياس وعندها الكارثة وعندها المفاجأة التي تهدرومآسى الجبال التي تسحق قلوب ذوي الحب وذوى الوفاء ويتشجع الفتى الذي يجهل ما حدث ويطاوع قلبه فيحنو على صديقته يحاول أن يقبلها في جبهتها فتحول بين شفتيه وبين الجبهة بشجاعة المرضى وذوي السقام هي محقة : إنها ليست له ولن تكون له هي إما لزوجها وإما القبر ولا ثالث والمسكين لا يدري يظن أن الكارثة التي حلت بها القت في روعها أن ترفض حبه وقلبه فيعاود الكرة وتعاود هي الكرة ويأبي القدر الا أن يحسم الموقف في هذه اللحظة فيدق الباب وتدخل ممرضة فيتقهقر شكرى ، بكرسيه خطوتين

وتقول الممرضة : أن زوجك ، ياسيدتي يستفهم عن حالتك الآن بالتليفون فيصرخ , شكرى ، هاتف : زوجك ؟ فتنسحب الممرضة ويخيم السكون ان المريضة الكريمة فهمت واجبها بسرعة البرق بعد هذه المفاجأة انها رغم هزالها وضعفها تقفز من سريرها إلى حيث يجلس الزائر الغريب وأين هو ؟ انه موجود ولكنه غائب هيكل من الهياكل البشرية بقي حيث وضعوه لا يتحرك ولا يتنفس ولاينظر ولا يسمع أو هو تمثال من التماثيل غير الناجحة لايرمز الى جمال او فن أو معنى ، وإنما هو قطعة من الجماد في شكل انسان والفتاة ؟

أتستغيث ؟ أتطلب النجدة ؟ لا إنها تلجأ إلى الكلونيا فتدلك بها وجهه ويديه بحنو وعطف وشفقة وكرم ثم تناديه من أعماق النفس المعذبة :

شكرى ويجيب شكرى، النداء فجأة ثم يتماسك ويقف مجاهدا ثم يتقهقر خطوتين وترتسم عليه أمارات الخجل القاسي والارتياع اللاذع والاحتشام الموجع ثم ينبس بهذه الكلمات - : أعتذر يا سيدتي اغفرى لى جرأتى لم أكن أعلم ثم يخفى وجهه بين يديه ويتقهقر نحو الباب ولكن مريم ، لا تتردد وبالصوت القديم الخالي من الكلفة والمفعم بالعاطفة تأمره أن يبقي وأن يجلس هو يتردد ولكنها تكرر الأمر بلهجة أحزم فيستسلم ان الصدمة كانت قاسية على شكرى ، لم يستطع أن يتكلف في أول الأمر وأن يتصنع اتضح له الموقف بغتة وبسرعة فقلب خطته رأسا على عقب ولكنه ألهم موقف الاعتذار والاحتشام فجاء ملابسة للاكتشاف مناسبة للطاريء المفاجيء متسقة مع الواجب وبدأ يشعر أنه غريب ثم بدأ يشعر انه يرتكب جريمة أدبية ببقائه في هذه الغرفة ثم بدا له ان الموقف حرج وان الوضع غير طبيعى وان المركز دقيق ومريم ، النبيهة الذكية تلاحقه في خواطوه هذه فتقطع فترة الارتباك قائلة - : هون عليك نستطيع ان نتكلم طويلا

تم تروي له الحوادث التي مرت أما نكبتها فتمر عليها مرة سريعة بحركات عصبية سريعة ويساعدها وشكرى بملامحه الحزينة وتوسلاته الرقيقة بأن تنتقل من موضوع الكارثة مخففا لوعتها وألمها الدفين بعبارات المواساة البليغة خاتما جهده بقوله : هي ارادة القضاء والقدر وأنت مؤمنة فأخضعى وتنتقل مريم الى موضوع الزواج ومناظره السينمائية السريعة ولا تضن على الزوج الشهم رسول السماء بتقريرالواقع فيتأثر شكرى كل التأثر من رجولة غريمه ونبله وبطولته

، فيمد يده الى الفتاة ويصافحها وقد استعاد رجولته هو أيضا ويقول : أهنئك من صميم قلى ان زوجك رجل وأؤكد لك يا مريم لاني شعرت الأن بشيء من سعادة النفس وراحة الضمير قالت وقد أتمت ما بقي من أخبارها وأخبار مرضها : انك خطى ان الشاب تحت تأثير الحادث الفاجع ثارت عواطفه فأقدم على عمل من أعمال الخيال وعلى مجازفة من مجازفات الروايات وعلى ضرب من ضروب البطولة التي نقرؤها في أساطير الأولين لم يخترني كما يختار العريس عروسه وانما كان الأمر أمر دقائق وانه لمغبون ويحاول شكرى، أن يعترض وأن يحتج وأن يناقش فتنظر اليه نظرة حادة قاسية وتقول : اسكت اسكت لا تغالط فيها التعس أنت أيضا جئت الى وأنت مريض منهوك القوي مضعضع الحواس لماذا ؟ ماذا بقي لي من صفات العذارى واحسرتاه ؟ ماذا في من جاذبيات الفتيات وقد دمغت الدمغة التاريخية الخالدة لا لا لا تغالط جئت أنت أيضا لتؤدى الواجب لانك شاب نبيل مصابكم - أنت وهو - انكما على خلق أنتما تعطفان وتحسنان على منكودة ، وتبكي الفتاة بكاء مرا فلا يملك و شكرى، إلا أن يقبل يدها ويبكى هو أيضا

-أقسم يا مريم أنك مخطئة اطردى تلك الهواجس واعلمى انك ضحية من ضحايا الثورة ، وفريسة من فرائس الأمة المظلومة هيا ، هيا ان في حولك تقديس وحولك قلوب قالت وقد قبضت على يده بشدة وقسوة وضغط : و اسمع لن أكون له ولن أكون لك سيكون حظى في القبر فهو عرسي وزوجي فهيا انصرف في الحال وترحم على وتلمع عينا شكرى لمعانا غريبا إن هذا التصريح الخطير لم يهزه ولم يفعل فعل

الصواعق على الروس انه صمد وثبت وبكل رزانة واتزان وتؤدة قال : أحسنت نعمت النهاية أخذت الفتاة بمظهره الهادي وراعها الرد الذي لم تكن توقعه - أمتهكم؟ أم تظنني طفلة قال : لا يا صديقتي لا يتهكم الناس في مثل هذه الحالات المظلمة الحزينة أنا جاد لاهازل

والفتاة بالرغم من أن قرارها الجهنمي يصادف القبول تزداد دهشة ثم تزداد جزعا إن شكرى ، لا تتم هيئته ، ولا لهجته ، ولاحالته ، عن استخفاف أو استنكار ونظر في الساعة فوجدها الثامنة إلا ربع قال : أخشى أن أكون السبب في تأخير عشائك قالت : ليكن قال : هل اخترت السلاح ؟ قالت : أي سلاح ؟ قال : سلاح الموت قالت : سأختار اسرعها وأحدها وأنساها قال : عندي أمنيتك كنت أعددتها لنفسي وحدي إذا كنت -

نجحت في محاولاتك وسبقتني الى هناك أما الآن فيا لتصاريف القدر نستطيع أن نسافر معا

ويخرج من جيبه الحاجة ، التي وجدت مدسوسة دسا بين البيجامة وفرشة الشعر ومشط الشعر ومصحف صغير فيه كلام الله جحظت عينا الفتاة وتحفزت وتوثبت المرة ثائرة وصاحت : شكرى ما هذا ؟

قال بثبات وتؤدة : هذا واستر كنين سيد السموم وسهم المنية

وعزرائيل العقاقير يتناوله الكفار أمثالنا والجاحدون امثالنا والجبناء أمثالنا وأعداء الله أمثالنا فيرتعشون ويتقلصون ثم يموتون

وتهجم الفتاة على الفتي وقد روعها لمعان في العينين أقوى من سابقه وأنفذ فيردها بذراعه الحديدية ثم يقذف بغطاء الزجاجة ويدنيها من فمه

قائلا :

-الرجال أولا سيدتي وسأبقى لك نصيبك إلى بكوب من الماء

وإذ يدني الزجاجة ذات المسحوق إلى فمه تلطمه الفتاة لطمة جبارة تطير الزجاجة من يده فينتثر المسحوق الشرير على الأرض ثم تركع الفتاد وتبكي وتتوسل وتقبل قدميه مترنمة بأرق وأروع وارحم ما عرف عالم الاصوات :

شكرى شكرى لا تموت بل تعيش

اذكريني ابتسم شكرى ، ابتسامة الظافر وأخذ بيد الفتاة إلى فراشها برفق وحنان ثم نظر إلى ساعته وساوره القلق إذ أخذ من وقتها أكثر مما يأخذه الزائر العادي كذلك خطر له أنه أحرج صديقه الدكتور أكثر مما يجب وخطر له أن هذه الزيارة الطويلة قد تثير لغطا في المستشفى وإن كان على ثقة من أن صديقه قد دبر الأمور كما يجب أن تدبر قال : والآن يا صديقتي أو يا شقيقتي قررت ان نعيش أليس كذلك ؟

قالت : نعم ، من الظلم أن تموت أنت وسأعيش لتعيش

قال : حسنا أشكرك إذ أنقذتنى لوالدي ولمستقبلى ولشبابى ويالك من طفلة ؟ بل يالي من طفل أنا أيضا ولا يأس مع الحياة يامريم

ستعيشين وسيمحو المستقبل الزاهر ذكريات الماضي الاسود والحاضر المعتم ستكونين نعم الزوجة ثم تصبحين أما وأولادك سوف يطردون بوجوههم البريئة وضحكاتهم الموسيقية والفاظهم الأخاذة اشباح الحوادث وسيشغلك الزمن والواجب عن كل شيء إلا عن أمومتك

قالت : ليفعل القدر ما يشاء أنا بنت القدر قال : نحن جميعا أبناء القدر

قالت : بقي شيء ؟ قال : ما هو ؟ قالت : ما بيني وبينك
قال : كان ما بيني وبينك طهرا وسيظل إلى الخلود طهرا كان ما بيني وبينك أوفي وأقدس وأعف ما بين فتاة وفتى وسيقي الى الأبد محتفظا بقدسيته ، متحليا بكرامته ، حيا بذكرياته ، منتعشة بعذريته : هو الحب ، يا مريم حب الخيال والسماء والاحلام حب الملائكة حب النقاء والبقاء اتحزرين ما سوف يحدث ؟ يستحيل هذا الهوى العذري الى صداقة بالزمن صداقة حلوة خفاقة فأتنسم عن بعد أخبارك وتتنسمين عن بعد أخباري أدعو لك وتدعين لي بالسعادة ماانبثق نور الفجر ، أو اودع قرص الشمس نهار الجلبة والضوضاء والكفاح ، أو أرخى الليل سدوله على مخلوقات الله الذين يلجأون إلى مخادعهم ومخابئهم في حراسة القضاء والقدر ثم لا بد أن نلتقي وأفضل أن يكون اللقاء بعيدا بعد إذ يخف رفع الصدمة، وتبرد نار اللوعة ، وتخمد شعلة اللذعة حينذاك - ولا أدري متى وأين - نذكر مع عهد الشباب ، وحلاوة الشباب ، وأحداث الشباب
نعم : نعيش يا مريم ونعيش والله كفيل بأن يشفيك ويشفيني من الفاجعة ويسكت شكرى ، منتظرا الرد فيجده دموعا هادئة تتهادى على الوجنتين وتتلاحق بكبرياء وجلال
قالت : أدنت لحظة الوداع ؟ قال : بل أوشكت أن تنتهي قالت : أعطني قمة
فيخرج من جيبه قلادة امريكانية ، وتمد في يدها إلى الوسادة فتخرج من تحتها صورة لمريم الطالبة في مدرسة الأمريكان ثم بيدها المرتعة

تحط على الصورة هذه الكلمات : الى ليالى النيل

مريم ويأتي دوره في الاهداء فلا يجد شيئا ثم فجأة يصطدم بزجاجة : الاستركنين ، الفارغة فيلتقطها من الارض ويقدمها لمريم قائلا -هذه هديتي أنا احتفظي بها فقد كان سمها هو الترياق وكان موتها هو الحياة ويتناول الفتى بد الفتاة فيقبلها بخشوع وحرارة ، وتشترك دموعه المتساقطة في الوداع فتترك أثرا على الجلد الرقيق ويأتي دور الفتاة فلا تملك إلا أن تضع قبلتها مكان قبلته على يدها ولا تملك الا أن تمزج دموعها بدموعه على الجلد الرقيق - الوداع يامريم - الوداع با شكرى وتتبع وقع اقدامه خطوة خطوة حتى إذا ما ابتلعه المستقبل المجهول ودخلت الى الغرفة ممرضة تحمل ورقة صغيرة فيها كلمة

أما الورقة فنه واليها وأما الكلمة فكانت اذ كربنى

استشفاء لا أدري تماما هل تتفق أمزجة المفجوعين في الحب المقهورين في عالم العواطف اليائسين من تحقق الآمال الغرامية لا أدري هل تتفق أمزجتهم في اختيار الملجأ والمنفى والملاذ بعد النكبة أم لكل مزاج ، ولكل رأي ؟

أنا من الناس الذين يغمرون أنفسهم غمرة في بحر الواجب والعمل عند الفشل في الحب فاذا ما حل آخر الأسبوع واستقبلت يوم الراحة وانقطعت صلتي بالعمل والواجب تحركت في نفسي الذكريات واشتعلت في قلبي النار واستولى على الألم ونقرأ في الروايات وفي الأخبار العالمية العاطفية أن كثيرات وكثيرين من فرائس القلوب الخفاقة يسافرون ويستسلمون للوحدة وللعزلة إذ يجدون في ذلك السلوان

ونقرأ أن كثيرات يلجأن للدير ويقطعن صتهن بالدنيا الخلابة وبالانوار وبمسارح الفرح والحبور

ونعرف أن كثيرين من هذا الصنف المنكوب يجدون العلاج في الضجيج وفي العجيج وفي الجلبة والضوضاء وفي المجتمعات المنعشة والسهرات التي لا يديرها العقل وانما يتولاها الواقع أن الأمزجة تختلف وان الاستعدادات تتباين وشكرى ، بعد عودته الثانية من اسيوط ، يفكر ويفكر وأخيرا يقع اختياره بعد طول التفكير على الريف تقبل هذا و محمود ، العربجي ينتظر سيده شكرى ، على المحطة الريفي الصغيرة ذات الذكريات بالعربة القروية التي أنهكها الكر والفر وأضناها الذهاب والإياب في استقبال الزائرين وتوصيل المسافرين العربة التي ظلت زمنا طويلا رمز الكرم والجود ، والتي حملت فيما مضى زرافات ووحدأنا من الأدباء والكبراء والوزراء والحكام أيام كانت الدنيا دنيا الكرم والجود والوفاء والصفاء وحسن الحال وصفاء البال وجد شكري ، أن الحيل تعثر وتخبط من الهزال والضعف والجوع فقال : ما هذا يا أسطى محمود ؟ جرت من المربي المسكين دمعة وقال في صوت مخنوق : من عهد ان سكنتم مصر يا سيدى وكل شيء هنا جائع وعطشان قال شكرى : حتى الزرع يا محمود ؟ قال : حتى الرجال والنساء والاطفال وانحرفت العربة تحاول أن تتخطى المزلقان المرتفع عن السكة الزراعية فتعثرت الخيل وتخبطت وتقهقرت العربة تكاد تهوى برا كبها في الترعة فضرب شكرى ، كفا على كف قائلا : واحسرتاه هذه طلائع الريف المهجور الريف الذي كان زاهيا زاهرا

موسرا مملوءا بالروح وبالحياة مفعما بالخيرات والبركات والريف مصدر المجد ومورد الرزق ومنبع النعيم المقيم ؟ الريف دعامة الثروة ومنبت المجد العتيق ، والصديق الوفي والرفيق الذي لا يغدر ولا يخون ؟ الريف الفاضل عدو الرذيلة وكفيل الحال والكمال ؟ هذا هو الريف قد خيم عليه الغيم المعتم وانتشرت فوق أرجائه الكآبة التي تسحق القلوب

ووصلت العربة الى القرية وواحسرتاه مرة أخرى هذه هي التلال قد زادت تلالا وهذه هي البرك تضاعفت بركا وهؤلاء هم الاطفال العراة كما نزلوا من بطون أمهاتهم لا يرتدون شيئا لان هدمتهم ، الوحيدة الوحيدة صيفا وشتاء في الغسيل ، ويظل الطفل بجسمه العاري العليل طول النهار حتى تغسل الهدمة وتنشف فيرتديها على اللحم على اللحم بعد ان تكون قد فعلت الرياح والعفار والميكروبات فعلها في صدره وبطنه وسيقانه ؟

ويصل شكرى ، الى بيت الأسرة الحافل بالذكريات فتفد اليه

وفود الرجال والنساء من القرية أما الرجال فلينتظروا قليلا في السلاملك ، وليشربوا القهوة حتى ينتهي من استقبال الزائرات

المتطوعات هذه أم رجب ، التي عرفها ضحوا ثرثارة حاضرة البديهة سريعة النكتة زاخرة بالامثال ما بالها قد تغيرت وهرمت وتجللت بالسواد ؟ لك العزاء يا مسكينة ابنها الوحيد قد غيبته صحارى فلسطين فكان ضحية من ضحايا السلطة

وهذه و أم الخير ، مثلها وانما فقدت اثنين ؟ وهذه أم نعمة ، مثلها وأما

فقدت ثلاثة ؟

حسن ، حسنا : يا ثكالى لا تبتئسن ولا تحزن في سبيل الوطن ذهبت فلذات الا كباد ؟ في سبيل الوطن ؟

نعم ولم لا ؟ هكذا قال أقطابنا وزعماؤنا وساستنا وإلا فكيف رضيت ضمائرهم المصرية وكيف قبلت قلوبهم الوطنية وكيف سمحت عقولهم الشرقية أن تسوق ذلك الجيش العرمرم من العراة الحفاة كقطيع الغنم ضد الأتراك ومع الانجليز إلى الحدود والى ما بعد الحدود حيث ضحوا في وهج الشمس وظلام الليل وفي الأغوار والانجاد والهضاب والخيال ؟

في سبيل الوطن لاشك ؟ فلما نال الوطن النصر وتقهقر العدو وفرضت الشروط على من خسر الحرب قاسية حامية قاصمة قاضية : قبض الوطن الثمن ونال الجزاء ؟

قبض الثمن ذلا على ذل وعار على عار واستعبادا على استعباد وفقرا على فقر وبقي في البلد الاحتلال رمزا خالدا للاستقلال والفلاح

-وانت يا سليمة ، كيف حال ابنك طلب ، واليوم يوم الاربعاء هل أحضرت له شيئا من السوق ؟

قالت سليمة، وقد غمرتها هذه المداعبة أنها أحضرت له حلاوة حمصية وحتتين قنه ، قال : ألم تحضري له لحمة ? قالت : لحمه ؟ بنجيبها سوق وسوق لا،وأمن الفلاحات الزائرات على كلامها يأكل الفلاحون اللحم في الشهر مرتين واللحم في عرفهم شيء من العظام والشفت ، يشترونه بأرخص الأثمان من لحم الجاموس أو البقر أو الماعز الذي تدركه

وتنقذه السكين من آلام الاحتضار وقد يخدعهم الجزارون الغلاظ القلوب والاكباد فيبيعونهم اللحم من الفطيسه اللحم الفاسد الذي يحمل إلى جوفهم الأمراض والأوبئة أما طعامهم بقية أيام الشهر فالعيش الذرة الحاف مع قليل من الملح وقليل من البصل وقليل من الفجل والجرجير والمش وقليل من الخضار المطبوخ لا بالسمن ولا بالزيد ولا بالزيت وأنما بالماء

وثروة الفلاح في الريف أولاد وماشية أما الأولاد فسائل والشمس ، : هل استطاعت يوما أن تنفذ بأشعتها الى داخل الدور المبنية من الطين والطوب والنيه ، والتي أبي فن مهندسيها ومقاوليها أن يجعل في جدرانها منافذ لدخول الشعاع الرباني المطهر ; وسائل والهواء و هل كان أوسع من الشمس حيلة فاستطاع أن يتسلل ولو كاللص الى هذه القلاع الحقيرة المحصنة ثم سل سكان هذه الدور : هل يفصل بينهم وبين البهائم وروث البهائم فاصل هل تمتاز الزريبة عن الخضر والمصطبة والقاعة والدهليز أم الكل سواء في الأثاث وفي الرياش ؟

ثم سائل الأنكلستوما والبلهارسيا وغيرها وغيرهما : ماذا فعلت في الفلاح وابن الفلاح وبنت الفلاح ؟

سل العزب والكفور : أين ذهب الرجال والفتيان وما الذي حصدهم حصدا حتى أقفرت الدور إلا من الأرامل والثكالى ؟

أما الماشية ، فدئينى يا أم نعمة : أين ذهب الرجل عم حسن أبو متولى ، وثوره وبقره وجاموسه وحماره الحصاوى وماعزه وخرافه وأين ذهب جمل عم سليمان القطاوي، وثوره وبقره وجاموسه وحماره الحصاوى

وماعزه وخرافه وأين ذهبت ماشية عم ابراهيم أبو رمضان ، وعم حسين زقندح، وغيرهم وغيرهم من اعيان المزارعين خبراء الغيط وأقطاب الزرع في القرية ؟

-راح الخير يا سيدى

ذهب الخير وولي ، وأقفرت مخازن الذرة والقمح في بيوت الفلاحين البسطاء فاذا ما بحثت عن السبب وجدته هو السبب دائما هاجر الأسياد الى العواصم وأجروا الضياع لفلاحيهم وهؤلاء فقراء لا يملكون ثمن السماد وثمن التقاوى وأجرة الرى وغيرها وغيرها من النفقات والتكاليف، وتأخروا بسبب العجز المالي عن السداد تراكم الدين السيد على المسود والسيد في القاهرة أو في البندر يريد نقودا تسد نفقات تفرنجه وتعصره ورفاهية المدنية فهو لا يرحم لانه هو أيضا محتاج والغيط المسكين يتحمل في هذه الحالة إهمال الفلاح وجشع المالك والفلاح تحت ضغط السداد يبيع ما يملك من ماشية فاذا ما تجرد عنها تجرد عن سلاحه ففشل كرجل خبير في الزراعة فنان هذه هي الناحية المادية التي كانت نتيجة حتمية من نتائج التطور الريفي : أن ينقلب الزارع بيده من عامل إلى مستأجر أما الناحية المادية فأدهى وأمر وأنكى شعر الفلاح بنوع من الكبرياء والغرور إذ أصبح جديرا بالتعاقد مع سيده بعد أن كان رجلا من رجاله يأتمر بأمره وينتهي بنهيه وهذا النوع من التحرر والرقي رفع نوعا مستوى معيشته فلم يدم الارتفاع طويلا فهوى

هوى الاعيان وهوى الفلاحون ونضب معين الخير وضاقت الأرزاق

وجاءت الحركة السياسية فكان لها ضياع من سنة ١٩١٩ حتى كتابة هذه السطور شغلت السياسة ولاة الأمور بالتتابع من ذلك التاريخ حتى هذا التاريخ فخدم ولاة الأمور الحزبية أكثر مما خدموا الأمة من الناحية الزراعية والاقتصادية فاختل التوازن بين الإيراد والمنصرف وأصبحت دعوى ان مصر غنية، اكذوبة من الأكاذيب الفاضحة ومغالطة من المغالطات الذائعة

إذن صدقت أم نعمة ، إذ قالت : وراح الخير يا سيدى

وارتفع القطن في سنة **١٩١٩** فوصل سعر القطار الى اربعين جنيها وأكثر من اربعين ثم جاءت سنة 20و21و33 وما بعدها وبدأ سعر القطن يهبط ويهبط ويهبط ثم يهبط و يهبط إلى مستوى الفقر المدقع المتجسم في الأشباح التي أمامه : وجوه صفر عليلة ، خلق بالية ، عظام تكاد تكسو اللحم ولايكسوها اللحم اذن ماذا استفاد الفلاحون البائسون من ارتفاع الاسعار ذلك الارتفاع الجنوني الخيالي الغريب ؟

لا شيء

الفلاح الصغير دائما هو الفلاح الصغير سنة اليسر وسنة العسر عنده سيان وغريبة هذه المشاهدة في بلادنا المسكينة والفلاح المصرى هو فلاح العالم الوحيد الذي لا يتأثر بالأزمة ولا يتأثر بالنعمة وعندما أقول الفلاح ارجو أن يفهم قرانى أتى أقصد تلك الطبقة الحافية العارية المريضة التي حافظت في ماضيها وحاضرها على تقاليدها القديمة وهي الجلد والصبر والعمل فكانت دائما مصدر الرزق ولكن بلا مقابل

وخرج شكرى ، إلى السلاملك فقابل الرجال وأخذ يستمع إلى شكاواهم المرة ونكباتهم الالية التي مرت بهم في عهد شراء الجمال والحمير والبغال والذرة والشعير وفي عهد سوق الأولاد للعمل في فلسطين
ثم أخذ يستمع إلى شكاواهم المره ومكباتهم الالمة بعد الثورة ، في عهد التحقيقات والاحكام وعهد التشفي والانتقام
تم أخذ يستمع إلى شكاواهم المرة ونكباتهم الأليمة الخاصة بالارزاق والاقوات
ثم أخذ يستمع إلى ذكريات عهد البر والوفاء بين السادة وبين المسودين
ثم خلص إلى نتيجة اشتراكية بحتة ، وهي ان هذا الصنف من الآدميين صنف مجحود يقاسي شر أنواع نكران الجميل
وأخذ يستشفى فتانا في الريف فلا يطق البقاء طويلا وانما أخذ يعالج جروح قلبه بالحياة الهادئة وبالوسط الجاهل الساذج وبالخضرة المنبسطة وبالنوم المبكر وبحياة الخمول والذكريات ثم عاد الى القاهرة ليحيا حياة جديدة : حياة المحاماة من جديد وحياة السياسة وليته لم يجيئها وبجانب هاتين الحياتين انتحر - أو قلم صمم على الانتحار - في حياة الحب والغرام
أضحك يضحك لك العالم فعل الريف فعله في نفس شكرى ، وفي نفسيته وفعلت المأساة الأولى والثانية فعل الريف
وخلع المحامي النائيء المنظار الأسود عن عينيه وصمم أن يعيش فيلسوفا فيلسوفا مرحا طروبا مستهترا بالحياة مطبقا المثل العالى المشهور : اضحك يضحك لك العالم ، وها هو قد عاد الى القاهرة

وبرز في نواديها وأحزابها وقهواتها، وسهراتها ومجتمعاتها فكان واسطة العقد و سنترال ، الحظ والانس والمجون الطيب البرئ

ولكنه في مجونه ومباذله وهذره وهذيانه كان يبدو كالمجنون المتكلف المتطبع ، كان يكافح في داخلية نفسه آلامه ويعارك ذكرياته الحزينة ويناضل لطاته السابقة ويحاول ان يشفي جروحه الدامية

وظهر على جمهور القراء المصريين بمقال تحت هذا العنوان : اضحك يضحك لك العالم فاوحى اهله وأصدقاءه بأنه إذا مات فعليهم ان يحلوا نعشه بالزهور البيضاء والحمراء - وان يلبسوا الملابس الزاهية الألوان - وأن يرقصوا ويمرحوا ويطربوا ويشربوا على صحته في ليلة المأتم الأولى

صدق الشاب وصدقت نظرته إلى الحياة إني إذ أدون وقائع حاله الآن - أي في سنة ١٩٣٢ - أستعرض في ذا كرتى عزيزاتي وأعزائي الذين ذهبوا وأفذاذ العالم الذين مروا إلى الحضيض في أوج عزتهم وسؤدده ومجدهم وكيف خلق القدر خاملين جعل منهم نابهين وكيف غدر بالنابهين فجعلهم خاملين أني إذ أذكر ذلك وأستعرضه أجد ألا قاعدة في هذه الدنيا وان من واجب المفكر الرزين ان يكون جنديا، على طول الخط عدوا للمطامع والآمال يكافح ولكن بلا شجن ولا ألم ويسعى ولكن بلا عذاب : يكد ويقدح زناد الفكر ولا يكل ولا يمل ولكن تجت شرط : ان ينام في الليل ملء جفونه وان لايقول : آه

تلك الفتاة التي كانت تتربع على عروش جميع القلوب وكانت حديث الشبان في السهرات وكانت مطمع عشرات من الخطاب فجأة تسعل

سعالا خفيفة ثم تشحب ثم تذوب ثم تنتهى ماتت بالصدر وبالعلة الخبيثة قم اختطفها القدر ولم يرحم شبابها وجمالها وكمالها ؟ ولم يرحم عواطف الذين اشتروا هناءهم من الدنيا بها ولم يرحم اجماع الناس على حبها ؟ لم تمت ؟ لا أدري وإنما شاء القدر فابكوا وأذرفوا الدمع السخين يا سخفاء

وذلك الشاب المتألق في نوادي القاهرة الصاعد بسرعة البرق الى العلاء المحمود الخصال المدير لادارة حكومية كانت مثالا في الدقة والاحكام والنظام يفكر في الزواج ويختار خطيبته من أكرم البيوت وأجمل الفتيات ومرح بها وبسيارته في المساء الجميل يتبادلان أرق العواطف ويدبران حديقة المستقبل الغناء هذا الشاب يمتلىء بيته المعد للدخلة ، بعد ثلاثة أيام بأثاث العروس الفاخر وقد ازدحيم باخوانه وأقاربه يتفرجون ويهنئون حتى اذا انصرفوا ذهب الى القهوة وطلب فنجانا ثم ارتفق بذراعه ووضع أنامله على جبهته يفكر في تنميق غرفة الاستقبال واعداد الحمام وتهيئة غرفة الطعام ثم يسرح في خيال الأحلام ويأتي الجرسون، بفنجان القهوة ويداعبه فلا يرد ويحركه فلا يتحرك ويضع يده على قلبه فيجده قد مات

وهذا الشاب الذي نشأ في وسط تجارى فلما هيأت له كفاءته ان يتولى المنصب الذي يساير نبوغه ويتمشى وجدارته نثر نشاطه الحكم ذات اليمين وذات الشمال فأثمر وأنتج واكتسح وأباد وزحف إلى المشروعات الوطنية الاقتصادية زحف الجيش الجرار الكامل العدة القوى السلاح حتى اذا دوى اسمه دونه ، وطار في الوطن كل مطار

ألهب فجأة رأسه برصاص المسدس فسقط جثة هامدة بين ذراعى زوجته وعلى مرأى من طفليه بغير سبب معقول ؟
وهذا وهذا وذاك وذاك والصرعي في الطريق وفي القطار وعلى مكاتب الدواوين وفي القوات والنوادي من هؤلاء ؟
هؤلاء هم ضحايا القدر بغير سابق انذار اذن لا تساوي الدنيا شيئا فعلام الهم والغم والحزن والشجن وعلام الأمان والانات والحسرات وعلام الأرق في الليل والكدر في النهار ؟ اذن الى الوراء يا مشاغل الدنيا والى الوراء با مطامع ويا مظاهر ويا آمال ويا أمنيات وأهلا بك يا قدر أن شكري يستقبلك مستسلا ويؤسس فلسفته الجديدة على قاعدة :
اضحك يضحك لك العالم ، مشاريع الزواج يلاحظ الأبوان الكريمان على ولدهما الثالث أنه يتخبط فى حزن قاتل الى داء عضال الى ضحكات جنونية إلى مرح مفاجي الى انغمار في السياسة على غير هدى وعلى غير أساس ثم ها هو يندفع في تيار التحرير السياسي المتطرف الملتهب المشتعل تارة وها هي رسالاته تظهر في اكبر الجرائد اليومية الصباحية بأسلوب فاز بحسن الحظ وبالحظوة ووقع من النفوس موقع الهوى والسلوى وامتزجت فيه الفكاهة بالجد والسكر بالحنظل ويظهر أن سر نجاح ذلك النوع من أساليب الكتابة يرجع إلى أن النفوس كانت ولا تزال مفعمة بالام الحياة وبأ كدارها ورزاياها فى حد تواقة إلى القراءة المرفهة المعزية المواسية ، المرسلة ارسالا لا اتقان فيه ولا صنعة ما دامت تخضع لوحي الطبيعة والسليقة لا وحي التكلف والتعمل وداع الكاتب فيمن داعب جنس النساء والفتيات

ولاحظت و الأم و اليقظة أن فتاها يفتح على شبابه فتحة جديدة وأنه أوشك أن يندفع في تيار الاغراء فصاحت : الزواج الزواج

وقعت الصيحة من نفسه موقعا حسنا فصاح هو أيضا: الزواج الزواج
واشتغل في المباحث والتحريات وكانت للام اقتراحات وللعمات اقتراحات وللخالة اقتراحات وللاخت اقتراحات وكم كانت الأذواق متنافرة والآراء متباينة حتى سئم الخلاف فقال لهن : استرحن واتركنني أختار الخطيبة نمرة ١ تلميذة على وشك التخرج لا تزيد سنها على ستة عشر عاما عرفها في ليلة ساهرة بمنزل أسرتها وكانت سهرة مختلطة اجتمع فيها رجال ونساء
ولفت نظره أنها كانت لا تلتفت الا اليه ولا تعني الا به ولعله كان أصغر الموجودين وكانت هي أصفر الموجودات والسن تجذب اليها السن ولو مع التفاوت فيه
ولاحظ بعض المدعوين أنه ، وهي ، يختلسان النظرات فسلط دعاباته عليهما وكانت الفتاة تنتعش بالدعابة وتلذ لها الملاحظة فتشجع وكانت فتاة جمالها كله ينحصر في تعبير واحد : رقيقة
كانت نحيلة ، دقيقة ، سمراء ، ذات فم أنيق وأسنان صغيرة فتانة ذات عينين لا تستطيع ان تحدق فيهما طويلا ولكن مالنا ولكل هذا الوصف وهو لم يستهوه منها جال اللون ، ولا جمال القد، ولا جمال الفم والعينين ، وانما لعب بلبه أنها كانت لا تنطق حرف الراء كما ينطقه الناس
وراءه شاذة لا هي بالراء الواضحة ولا هي بالغين ، المدعومة وانما

نصفها من هنا ونصفها من هناك ؟ لا أظن مصدرها لثة الأسنان الخلفية وانما يغلب أنها تصدر بعد طى طرف اللسان من الخلف الفتاة الصغيرة أنها لمست بأناملها قلبه فزادته عناية ورعاية

وأخذت - كربة منزل صغيرة - تعنى بطلباته أثناء السهرة وفي غفلة بريئة من المدعوين اختلى بها بجوار البيانو ، فاخذت تحادثه بحديث فيه الساذج ، والما كر، ولكنه كله خلاب

وتوسل اليها أن تضرب على البيانو وان تسمعه شيئا فتمنعت تمنع الاطفال ثم رضخت رضوخ الأطفال ثم لعبت لعب الأطفال تكررت الزيارات وزالت الكلفة وعرف سكان المنزل ، وأصدقاء المنزل ، أن علاقة الحب ، نمت بين الاثنين وأنها تتجه بسرعة نحو الخطبة ونحو الزواج وبدأ يدرس الفتاة دراسة الزوجة لا دراسة العاطفة فوجد أن الفارق كبير بين أسرته وتقاليده القديمة الرجعية وبين أسرتها المتحررة العصرية والفتاة كانت صغيرة في السن وكان النزق والطيش الصبياني صفتين لاصقتين بأحوالها وتصرفاتها كانت في السينما، متلاحقة الملاحظات على الشبان وملابسهم وأحوالهم فهذا في نظرها جميل وهذا رشيق وذاك ثقيل الدم وذلك وجيه

وكانت مشغوفة بالرقص يكاد يبكيها وينغص عيشها ان شكرى ، لا يرقص وكم توسلت اليه وألحت عليه أن يتعلم ليكون شابا من آخر طراز

وكانت من غواة قيادة السيارات وكم وبخته توبيخا ممزوجا بالالم وبالكدر لأنه متأخر : فهو لا يلعب البيانو ولا يرقص، ولا يقود

السيارات وانها تود ان تخلق منه في أقرب فرصة شابا من النوع المعروف : سبورت ، وجد شكري ، أن الفرق عظيم بين عقليته وعقلية خطييته وان الدراسة التي تتجه يوميا نحو الاعماق، تكشف عن خيبة الأمل رويدا ؟ ولاحظ في احدى السهرات ان زائرا جديدا قد طرأ على الوسط : شاب أنيق من سن الفتاة وممن يرتدون الجاكته الكحلية ، ذات الازرار المذهبة والبنطلون الواسع المتصل باسفل الكعب ومن حملة الكرافتات ذات لون قوس قزح ، ومن ذوي الشعر المكوي وباختصار ممن يصح أن نطلق عليهم لقب الجنس نصف اللطيف ، ورقص هذا الشاب معها في احدى الليالي الساهرة فنظر اليهما وعيناء تقدحان بالشرر ولكنهما والحق يقال كانا منسجمين متكافئين في الرشاقة والاناقة والسن والعقلية والمؤهلات ؟بدأ نجمه يأفل ونجم هذا يرتفع وفي ليلة من الليالي انعطف شكرى ، في شارع الأسرة في زيارة من زياراته ، فلمح سيارة سبورت ، من ذات المقعدين تقف بكياسة ولباقة على الباب المهم لمح الفتاة والفتى قد نزلا منها بكياسة ولباقة وقد تأبط ذراعها وتأبطت ذراعه بشغف وحنان وعاطفة فقال في نفسه : وداعا والى الوراء ودق جرس التلفون في اليوم التالي في الميعاد فأخذ السماعة ودارت المحادثة الاتيةكيف :حالك ؟

هو : آلو مين ؟ هي : أنا : كف هي : عال هو : أهنئك هي : بماذا؟ هو: به هي : من ؟ هو : الرشيق أل - سبورت ،

ألقت السماعة بغضب وفي الليل ذهب شكرى ، إلى أحد التياترات ليتناسى همه ، فوجد الأسرة في أحد البناوير ولمح الفتاة السبورت ،

والفتي السبورت ، متلاصقين فاقتحم الباب وسلم بأدب وابتسام ثم همس في اذنها قائلا : اهنئك ، فأطرقت وقد كسا وجهها احمرار خفيف ولم تمض شهور حتى

تزوج الفتى من الفتاة فتنهد قائلا : بالرفاء والبنين الخطيبة نمرة ٢ نحن الآن في سنة **١٩٢٣** وقد استقل الاستاذ شكرى ، بمكتب في مدينة من عواصم الأقاليم وقد اشتغل محاميا موفقا من البارزين الذين يحق لهم الجلوس مع سعادة المدير ، وسعادة الوكيل ، وسعادة الحكمدار وبزغ نجمه في سماء الكتابة فتلهف القراء بحق أو بغير حق على رسائله في الجرائد وبالرغم من أقامته بالمدينة التي اتخذها موطنا لحرفته فانه كان وثيق الاتصال اسبوعيا بالقاهرة

وقرأ في هذه الأثناء رسالة اجتماعية دقيقة البحث عن الزواج في مجلة اسبوعية أفرنجية ، ذهب فيها الكاتب الذائع الصيت إلى أن الزواج المؤسس على الحب ، زواج الفشل ، فيه غالب وان الزوجية المبنية على تقدير الجديات أجدى على الزوجين وأبقى من المبنية على العواطف والخيال وهو فوق ذلك قد جرب الحب العفيف في مأساته الثانية والحب الذي يظنه الناس غير عفيف في مأساته الأولى ثم اتعظ من فشل خطبته الأولى فصمم على أن يتزوج كما تزوج آباؤه وأجداده من قبل

وبعث بخاطبته أم هناوه ، كالكشافة في ميادين القتال ويا لها من سخافة لقد جاءته بأخبار وأوصاف وتفاصيل وأرقام الله وحده أعلم بصحتها ودقتها ثم فهم ضمنا من كلامها أنها أنبأتهم باخبار واوصاف وتفاصيل

وأرقام الله ، وهو ، العالمان بصحتها ودقتها وأعجب ما في الموضوع انها طلبت صورته الفوتوغرافية، الحمد الله ولجأ إلى صديقه وهنزلمان ، طلب منه فوتوغرافيا خلقة وسيمة خلابة فتانة وبارك الله في فعل و الرتوش ، ومهارة الفنان وكان لا بد للاستاذ المثقف المتهكم على كل شيء من ان يخضع خضوع المستسلمين لهذه الاجراءات وهذه التقاليد وقيل إن سفيرة أو سفيرتين من اهله المقربين يجب أن تذهبا لزيارة اهل الفتى لمعاينة الفتاة ومحبب في نظره ان يستلزم الأمر هنا مستخدمو سمعان، وشيكوريل ، يعاينون بدون سفيرة أو سفيرتين ويشاهدون وليس عندهم إلا نية البيع والشراء والمساومة و الفصال ، وسأل الأستاذ : يا للخجل ؟ وكيف تتم هذه المعاينة ؟ قالت خالته الفصيحة : نخطر اهل العروس بالزيارة قال : ثم ماذا ؟

قالت : تحدد الميعاد فتستعد العروس وتنظم نفسها وجمالها وقوامها وترتدي ابدع ثيابها وتعطر جسمها وشعرها بالرواحئ حتى اذا وصلنا وشربنا القهوة أو الشربات استدعيت العروس فاقبلت تهادى خجولا وجلست بأدب واحتشام ثم يأتي دور البحث والفحص قال : وكيف ؟ قالت : هنا اللياقة والمهارة فالواحدة المجربة تشرع في الحديث معها وتحدق أثناء الحديث في اسنانها، لترى ان كانت فيها عيوب أو كسور من ناحية التناسق واللون ومن الحديث نستنتج خفة الروح، أو : ثقل الدم ، ونعرف نوع , الصوت وان كان ناعم أو خشنة أو غليظ قال : ثم ماذا ؟ قالت : وقد تخرج الواحدة منا سيجارتها، وتطلب إلى العروس برفق أن تشعل عود الكبريت فتتقدم لتلمح قوامها وقدها وتقترب فنتشاغل

لتشعل عودا آخر ولتتسع لنا الفرصة لنحدق في عينيها عن قرب ، ثم تنتهز السفيرة الأخرى هذا الوضع فتطبطب ،على صدرها لتلمس ثديها ، ببراعة واحكام قال : كفى قالت : ماذا ؟ قال : يا للخجل وأي فرق بينكن وبين سماسرة ، الخيول وغواة الخيول ؟ أتين بهذا الشكل لا تفحصين فتاة وانما تشترين حصانا وكان لا بد من هذه السفارة فتوسل إلاستاذ الى سفيراته أن ترفقن بالفتاة المسكينة فوعدنه خيرا

ولا يعرف الاستاذ ماذا تم في هذه المعاينة وانما تقدمت اليه تقارير متناقضة فالسفيرة نمرة1 ،مقبولة ترى آنها ، والسفيرة نمرة ٢ ترى أنها كاملة ، والسفيرة نمرة ترى أنها لا بأس بها وجاء دور التحريات ، عن الاستاذ وعن ماليته ، وعن سيره وسلوكه ، وعن عدد اخوته ، وعن وعن وأفكة ما في الموضوع انهم سألوا عنه مامور قسم شبرا ، ولعلهم استعانوا بالبوليس السري عن أحواله واسراره واستغرقت هذه التحريات أشهر ثلاثة ثم صدر القرار أخيرا بالقبول مبدئية وجاء دور الكلام عن المهر ، والشبكة، وليس المجال مجال التفصيل فسخافاته ومهازله معروفة وفرضت اسرة العروس رقة عالية فقبله الاستاذ راضخا ولم يكن في حياته الحاضرة ولا المقبلة من الماديين وكانت اتعاب القضايا في سنتى ٢١ و ٢٢ تتدفق على جيبه فلم يكن رقم « المهر ، أو الشبكة ، من العقبات وسمح للخطيب أن يتردد على منزل الأسرة الضخم في القاهرة ، وأن يقابل رب الأسرة العظيم وزوجته العظيمة وكانت زوجته عظيمة حقا ؟ بل متألهة وأوعزوا اليه ان يقدم الديلة ، فقدمها باجراءات ومراسيم ورسميات وحين جاء دور العمل

الحاسم وقد استعد له وتم الاتفاق على كل التفاصيل من كتب كتاب ، و , ليلة دخلة ، وفرح استدعته الزوجة العظيمة أو الأم العظيمة لمقابلة خاصة فاسرع اليها فهمست في اذنه سائلة : أين تكون الدخلة ؟ قال : كما تأمرين قالت : اعني ان تكون الاقامة ؟ قال : في بلدي التي اشتغل فيها حيث حرفتى وعملائي ورزقى ؟ قالت : لالا بنتي لا تعيش إلا في مصر قال : عفوك يا سيدتي أتعيش وحدها وأعيش وحدي ؟ قالت : لا ولكن تنتقل إلى مصر قال : سيدتي ان هذا مستحيل قالت : ونحن أيضا مستحيل

ودخل رب الأسرة الفخم في هذه اللحظة فتضرع اليه الاستاذ متوسلا واستأنف ، أمام عظمته و قرار ، الزوجة العظيمة فصدر نطقه الكريم بالتأييد ، وانسدل الستار على الخطبة الثانية

الخطيبة نمرة 3 في يوم من الأيام تلقي الاستاذ شكرى، خطابا باللغة الفرنسية من فتاة لا تتجاوز الثامنة عشرة مثقفة متعلمة كما يبدو من روح تحريرها وكما تذكر في خطابها ، والخطاب يتضمن شكوى مرة من معيشتها في منزل الأسرة وما تلقاه من الألم النفساني بسبب اصطدام التربية العصرية بالتقاليد القديمة ووقعت الفتاة بتوقيع مستعار غير أنها ذكرت العنوان ومن الصدف العجيبة أنه عرف العنوان وعرف المنزل لاول وهلة وعرف الفتاة ولكنه لم يشأ أن يتعدى حده فرد ردا موجزا يتفق وتربيته ومكانة الفتاة واسرتها ، واعدا بكتابة بحث طويل في مجلة معروفة لتستفيد الفتاة من رده الذي سوف ينشر في المجلة الشهرية وكان الخطاب والرد على هذا الشكل - عبارة عن

مراسلة ادبية اجتماعية لا تدل على شيء ولا تنبي، عن شيء وظهر البحث الطويل في المجلة وقرأته الفتاة الراقية فرأت من واجبها أن تشكره على نصائحه وارشاداته وأتصلت به تليفونيا وبالرغم من عصريتها وثقافتها وتمدينها كلمته بصوت مضطرب ، ولكنها فهمت من حديثه أنه عرفها وأنه يعرف اسرتها وانه يحمل لها كل احترام واجلال وانتهت المخابرة التليفونية

وعن الفتاة في ظرف آخر رأت ان تكلفه بحث آخر فكلمته بالتليفون مرة أخرى وأجابها إلى رغبتها ونشر البحث الآخر ، فرأت أن تشكره فكلمته مرة ثالثة ورابعة وخامسة

كانت الفتاة كما ترى مثقفة تثقيفا عاليا ثم هي فوق ذلك كانت موسرة ومن بيت كبير وقد تحرى الاستاذ - من باب الفضول - فعلم انها جميلة ومن محادثاته معها تحقق لديه أنها ثابتة في خلقها فلم يدر منها لفظ ، ولم تخرج كلمة ، ولم تفلت جملة ، يمكن أن يستنتج منها أنها من ذوات النزق أو الطيش أو التسامح في القواعد الأخلاقية التي تزين الفتاة

أحب فيها هذا التحفظ وهذا الاتزان على صغر السن وصغر التجربة وأغراه انها تعرفت اليه من طريق الادب البرئ والبحث البرئ ثم رأي في شكاواها المنزلية ما يستحق العطف ويستحق التقدير ففكر في أن يتشجع ، ومرعلى ذهنه خاطر الزواج

وشاءت الظروف الطيبة أن تنتقل الفتاة وأسرتها إلى الاسكندرية في الصيف وأن تقطنان بجوار منزل من منازل افراد اسرته المقربين اليه ، واختلطت الأسرتان وامتزجتا ، وجاء ذكر الاستاذ على لسان الفتاة

ثم تقدم الحديث وتوغل فى البحث من ناحيتها عن اخلاقه وعوائده وروحه واستعداده للزواج ففهمت القريبة ما شاء لها ذكاؤها وقرظت قريبها أحسن التقريظ

وكانت المباحث وفق مراميها فطربت ولم تستطع أن تخفي سرورها وانكشف الموقع فانتقلت المحادثات مباشرة إلى مشروع الزواج ، وبلغت التفاصيل الى الاستاذ فابرق بالموافقة من غير تحفظ ومن غير قيود واستمر تزاور الأسرتين والموضوع هو حديث الايام والليالي على أن تتم الإجراءات في القاهرة

وكنا قد وصلنا إلى أواخر سنة ١٩٢٣ وقد خلق الانجليز للبلد برلمانا ، وانتخابات ، وشرع الاستاذ يعد نفسه لخوض غمارها واظهرت الفتاة من المشاعر ما رسخ في ذهنه أنها سوف تكون حقا الزوجة السعيدة ، والشريكة التي يضمن بمعاونتها صفاء الحياة ولامر ما انقطعت المخابرات التليفونية وانقطع الاتصال فظن انها لابد وأن تكون بارحت القاهرة إلى مزارع الأسرة في اقليم ناء بعيد

وكان قد نصح لها ان لا تكاتبه وذلك كان مبدؤه الذي أذاعه فان امقت ما كان يمقت ان تسرف الفتاة في الخطابات التي قد تكون يوما ما سببا في اشكالات وأحزان ولكن الزمن طال وأصبح من غير الطبيعي أن يكون الانقطاع ، طبيعيا

ومن السهولة أن يتحرى عما إذا كانت بالقاهرة أو لا وقد تحرى فعلم أنها لم تغادر القاهرة ماذا ؟ لا بد من أن ينكشف السر وجاءته بوستة الصباح بعد اسبوع فميز من بين الخطابات خطابا شما مزخرفا تبدو

عليه الوجاهة ففضه بشغف على اعتقاد أنه منها كان منها حقيقة ولم يكن منها كان من ناحيتها كان من حولها لانه كان عنها وعن مصيرها كان بطاقة دعوة لحضور حفلة زفافها على فلان ابن فلان

وسقطت دمعة هي دمعة الكبرياء ، ولكن سرعان ما مسحها بأنامله الفيلسوفة ولكنه لم يستطع أن يطارد الام النفس الذي انتابته فهو قد جرح في عزته بغير مبرر وبغير سبب وتساءل : هل من الانصاف - على كل حال ان يفاجأ هذه المفاجأة القاسية ؟

وهل كان من الضروري أن يدعى لحفلة الزفاف ؟ إذن لا بأس بالرفاه والبنين انت ايضا

الخطيبة نمرة **4**

لقد عتب عليه أقاربه أنه لم يوجه رغبته الى اسرته فوقع من نفسه الاحتجاج موقع القبول ولكن الاسرة القديمة لها تقاليد امنع من أن تنال ولها اسوار من فولاذ لا تقوى على مهاجمتها الافكار العصرية **:** السفور في هذه الأسرة جريمة والحب كفر، والاختلاط بين الفتي والفتاة عار

وبالرغم من ذلك اختار الخطيبة الرابعة وجرت محادثات هامسة مكتومة قدسية لاهوتية جديرة بالهياكل والأديرة لأن الفتاة يوم ان ولدت كان قد تكلم عنها أهل الفني الفلاني يوم ان ولد ، وصدر العرض من هناك والقبول من هنا وكلام الاشراف شرف ولو كان عن طفل وطفلة في سن الرضاع إذن ليظل كل شيء في السر ، خافتا ، طويل الأمد ، خوفا على عواطف الاسرة الموعودة ، وحرصا على كرامة الأسرة

الواعدة ؟ وأين الفتي ؟
هو لايزال يتعلم فيجب الانتظار حتى يتم دراسته ثم يجب الانتظارحتى يكون مستقبله ثم يجب الانتظار حتى يتكرم فيقول : لا وحينئذ تتحلل الاسرة الواعدة من وعدها وتصون كلمتها فتصح اذاعة الخطبة ويجوز الاعلان ؟
ورفض صاحبنا كل الرفض هذه الرهنية ويبحث عن الخطيبة الخامسة وهي فتاة استأثرت بالجمال والكمال دفعة واحدة وكانت غير مرتبطة بوعود أو بعهود وقطعت الاجراءات شوطا بعيدا وسريعا وأوشك كل شيء أن ينتهي وان يتحدد ولكن لكن في آخر لحظة اصطدم حظ استاذنا العاثر بمشكلة الرضاع،
وجاء دور الخطية الأخيرة ولها حكاية طويلة تتلخص في جملتين :
ان الزواج قسمة وربنا ماقسمش ؟ رسخ في ذهن الضاحك الباكي، بعد هذا تاريخ الزواج الطويل ان الحكاية مقصودة ، من القدر ، وان القضاء والقدر لايريدان أن يتزوج واحترام القضاء والقدر فرض وأمر واجب الطاعة دستور وبرلمان ؟ إن صيف سنة ١٩٢٣ كان شيئا جديدة في حياة مصر تمخض ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ عن شيء ظريف اسمه دستور وبرلمان ،
رقصت بعض الأحزاب وطربت واطلقت الزغاريد وأقامت الزينات ورقت الأعياد في رسمياتها وكشرت بعض الأحزاب عن أنيابها ولبست السواد ونادت بالويل والثبور وعظائم الأمور واعتبرت تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ نكبة ؟

ونشبت المعارك ودار الطعن والطحن والضرب والنزال والنضال حتى نادي المنادي في البوق أن هناك انتخابات ، فاذا بالاحزاب الضاحكة والاحزاب الباكية تقبل على الانتخابات ؟

والنيابة عن الأمة شرف أي شرف ثم فيها ايضا مرتب ، وفيها ايضا ابونيه ، وفيها أيضا حصانة ، وفيها أيضا نفوذ وجاه وفيها مطامع وآمال كانت النيابة المودة الجديدة للفخفخة والنفخة وحب الظهوركانت رتب الباشوية والبكوية هي مطمح الأنظار فيما مضى أما في تلك السنة فقد بطلت المودة القديمة وحلت محلها المودة الجديدة : النيابة عن الأمة وانكمش الانجليز و الغلابة ، في معسكراتهم ومنازلهم ور قصر نيلهم و قلمتهم ، وعباسيتهم وابو صويرهم ، خائفين يرتعدون ويرتعشون خوفا من الوحش الفاغر فاه والقادم عليهم بعد حين : البرلمان ذلك ما تراهى لكل مصري في اليقظة لا في المنام في العلم لا في الحلم في الحقيقة لا في الخيال

وكانت المناصب الوزارية محتكرة في وسط معين وفي شخصيات معينة أما اليوم فالمودة جديدة أيضا والنيابة عن الأمة ستكون مزلقا أو مرقي الى العلا والى السماء

اذن هيا ياجيوش المؤملين الطامعين الطامحين فازحفي ازحفي واستميتى وابذلى وحاربي وكافحي وضحى وأبذلى المستحيل وغير المستحيل حتى تفوزى بالكنز الثمين والمجد المتين والنصر المبين وافتتح ابليس اللعين معركة الانتخابات فضاعت اسر وضاعت روابط وضاعت تقاليد وضاعت نزوات ؟

اقتحم الاستاذ دائرة من الدوائر الانتخابية له فيها عصبية وقرابة وجوار ولكنها لم تكن من دوائر أسرته المضمونة تلك احتلها اقرباؤه المقربون وكانت سنه دون السن القانونية بسنتين غير انه كان من ساقطي القيد في اقليمه فانتهز الفرصة وجال جولته الأولى وحيدا ليجس النبض فاستقبل بالترحاب في كل دار وفي كل مكان الوجوه كلها باسمة والعواطف كلها فياضة بالاعجاب والتقدير ولكنه لم يكن من حزب سعد زغلول ، العظيم وكان الرجل الفذ قد غمر القطر كله بسحره وسلطانه وكان مرشحا في الدائرة رجلا معروفا له ثروة طائلة وضياع كثيرة وله مقر وله روابط ولكن الشاب لا يحفل ولا يتردد ، ولم يكن هناك متسع للاختيار فأقدم

وكان المحامي النائي، قد جمع ثروة صغيرة من ربحه الخاص لا تزيد على خمسمائة من الجنيهات ودخل المعركة متسلحا بعلمه وشهادته وحظه الصحفي السعيد والخمسمائة من الجنيهات أما منافسه ، فلم يكن إلا من أرباب الضياع كانت وسائله الخطب والبيانات وكانت وسائل خصمه الخراف والعجول والديكة والفراخ والحمام والطعام والشراب وكان اعتماده على كرامة العلم وحرمة المبدأ وكان اعتماد خصمه على سعد زغلول وزحف موكبه الصغير الى القرى والكفور والعزب فكان شرب في اليوم أكثر من سبعين فنجانا من القهوة وكان يأكل أكثر من عشرة أرطال من العجوة وكان لا يملك أن يرفض هذا

ضرب من ضروب الاكرام وإلا عدوه متعجرفا عديم الاصل جاهلا بالاصول ؟

وهزم المحامي الناشىء هزيمة مبلوعة ، بعد أن جيش عليه منافسه جيشة عرمرماً من اقطاب الوفد وخطبائه فأضاع وقته واضاع الخمسمائة جنيه

من الجنيهات ؟ وعاد الاستاذ الى مكتبه الريفي يحاول اصلاح ما أفسده الدهر وافسده الانتخاب وراجع حسابه في البنك فوجد الرصيد صفر

وفي ليلة من الليالي السوداء الممطرة انتابته السويداء وهو قد اعتاد في الليل ان يعاشر جدران الغرف والكتب وملفات القضايا لكنه في تلك الليلة شعر بألم الوحدة وشعر بأنه ثائر على كل شىء : على نفسه - وعلى واجبه - وعلى مهنته - وعلى حاضره ومستقبله

وكان عائدا من القاهرة وتذكر وقد انتصف الليل أنه لم يقرأ بوستة الأيام الماضية فلجأ اليها عله يجد بينها ما يخفف من لوعته واشجانه

وفض الخطاب الأول فاذا به من متعهد حفلاته الانتخابية في الدائرة يطالبه ببقية حساب قدره عشرون جنيها ؟

وفض الخطاب الثاني فاذا به من شاب سعدى يهنئه فيه بالسقوط ؟

وفض الخطاب الثالث فاذا به من مخلص آسف يكشف له عن عيوب قانونية في اجراءات الانتخاب ؟

وفض الخطاب الرابع فاذا به من موكل يخطره بأنه تصالح مع خصمه ويطلب اليه رد ثلاثين جنيها قيمة مقدم الأتعاب

أما الخطاب الخامس فكان من عائلة منحوسة تدعوله بطول العمر وتطلب اليه أن يمدها بالاحسان ورفع الخطاب السادس فاصطدم بخط دقيق انيق اضطربت له حواسه وتفتحت له عيناه إن الخط يعرفه ولكن

لمن ؟ إنه خط ولكن ليس من خطوط الرجال إنه من سيدة من تكون ؟؟ والله إنها لحكمة كان من الضروري جدا أن يخلق الله صنف النساء لأن في الأزمات دور لا يلعبه غيرهن ولا يجيده غيرهن إنه لم يعرف بعد من الخطاب ولا ما هو مضمونه إن كان خيرا أو شرا ولكنه حن للخط وحن للنساء وفي الشدة التي هو فيها وفي الوجيعة التي يقاسيها شعر كأن عاملا من عوامل الانشراح قد طرأ والسلام وأخذ يفض الخطاب برفق ولين ووداعة ثم قرأ ما يأتي : وصديقي شكرى :وان كنت لم تعرف الخط بعد فلا تتعجل ولا تسرع إلى الأعضاء

أنا صديقة قديمة بل كنت اكثر من صديقة وقد سمعت بنأ سقوطك في الانتخابات وفهمت بالبداهة أنك ستكون معتم الخاطر مظلم النفس فرأيت من واجبى ان افعل شيئا رغم ظروفي ورغم بعدى عنك وبعدك عني وماذا املك ان افعل ؟ لا شيء إلا أن أكتب اليك هذه الكلمات ولست ادري ما الذي حملني على الاعتقاد بأن كلماتي هذه ستكون لها مكانتها في نفسك وفي قلبك ما كانت منذ سنين ألا يدهشك انتي اخاطبك كأني - لا ازال - من ذوات الحقوق عليك ؟ اغتفر لي جرأتى فمن يدري ؟ لعلك نسيتني ولعلنى أكون مبالغة في اعتدادى بدلالي عليك سواء أكان قدرى عندك غاليا أم رخيصا اظنك لا ترفض كلمة مواساة وتشجيع من صديقة لا تزال تشعر بأن عليها واجيا نحوك في اويقات وجيعتك وألمك وكم كنت احب ان اعلم مبلغ وقع هذا الخطاب في نفسك ولكني اعلم انك لا تملك أن ترد وانني اتتبع اخبارك بقدر ما تسمح به الاخبار العامة وثق يا شكرى واسمح لي أن أخاطبك بغير رسميات

اني لن انسى وفاءك ولاعفتك ما حييت بل لقد بلغ من جرأتى انني رويت لزوجي كل حكايتي معك وبهذه المناسبة اخبرك اني سعيدة وأنك كنت نبيا صغيرا حين تنبأت لي بأني سأنسى فجيعتي ولنا ابنة صغيرة جميلة تحدق في بعينيها الجميلتين وأنا أكتب لك هذا الخطاب وهي هادئة هدوءا ملائكيا على خلاف العادة كأنها تعلم من طريق الالهام اني أؤدي واجبا مقدسا نحو عزيز على لا أنساه ولا انسى ذكرياته ونبله واذا كانت مكانتي لا تزال كما اعهد في نفسك فانى واثقة انك ستنسى مرارة التجربة الانتخابية الأولى اوعدني إذا طافت بك ذكرى هذا الفشل ان تذكرني وان تنسي وان تمشى وان تبتسم ثم عدني ان تذكرني دائما إلى ان نلتقي على وفاء كما افترقنا عن وفاء ولك تحياتي ؟ من المخلصة

شكل زعيم الأمة وقائد جيش الكفاح ضد الانجليز الوزارة وكانت وزارة أثارت العجب وأحدثت في تقاليد البلد الوزارية حدثا جديدا انبعثت منها رائحة الديمقراطية واحتوت بعض الأفندية ، محاولة جريئة تعمد فيها سعد زغلول ، أن يهشم التقاليد القديمة فنجح وان يذيق الشعب طعم الحكم فنجح وان يبرهن على أن الأمة مصدر السلطات و فنجح وتوارى الانجليز فهلل الشعب وكبر وطار الناس في جو الأماني والخيال فصعدوا للسماء ، وطاولوا الجوزاء

بلد مستقل وزارة شعبية دستور وبرلمان سفارات وقنصليات

وفي متصف مارس وقف شكرى ، الراسب في الانتخابات في ميدان قصر النيل يتفرج على موكب النواب والشيوخ ورجال الدولة الذاهبين

لافتتاح و البرلمان ، فصفق مع المصفقين ، وهتف مع الهاتفين وتشنج حماسة مع المتشنجين ، ولكن قلبه رغم كل هذه المراسم والمظاهر كان يقول له : لا

انها نفخة كذابة : أنه طبل اجوف وان البرلمان خدعة انجليزية وان النظام البرلمانى،والحكم الشعبي ، مع الاحتلال ، حقنة من حقن المورفين ، كان من الطبيعي ان تقصي الوزارة الشعبية الموظفين في العاصمة وفي الأرياف ممن لم يكونوا من لونها والا فكيف تطمئن لهم وكيف تعمل ؟؟ وهكذا عزل البعض ، وحوكم البعض ، وأحيل البعض على المعاش فتولدت حزازات وضغائن وثارات

وكان من الطبيعي أن يندفع النواب في سبيل التظاهر بالسلطة وهم معذورون فالتجربة جديدة وهم لا يزالون تحت التمرين ، وهكذا طغت السلطة التشريعية على السلطة الادارية فكان النواب مديرى أقاليم ، ورؤساء مصالح، ومديري ادارات فارتفعوا بانصارهم وعائلاتهم وكتموا أنفاس منافسيهم وخصومهم وتولدت حزازات وضغائن وثارات وتوارى الانجليز، وراء كل هذه المظاهر يشربون الويسكى،فى صحة نجاح التجربة

وانشغل البلد الثائر لقضيته ضد الانجليز ، بالبرلمان عن القضية وعن الانجليز فكانت اللعبة الجديدة ابدع ابتكار جادت به قرائح دهاة بريطانيا في القرن العشرين أما اللعبة ، الأخرى فكانت هي ايضا ظريفة : المفاوضة جربها سعد ، مرة فانتهت بالفشل وجربها عدلي ، مرة فانتهت بالفشل وها هو سعد، في سنة ١٩٢٤ يجربها مرة اخرى وسافر

الزعيم يحمل آمال أمة : فيه وفي مكدونالد ، العادل المنصف ؟ كانت مفاوضة ما اقصرها وما اوجعها

جرحت فيها كبرياء الزعيم وكبرياء الأمة وانتهت في لمح البصر بالفشل

وبدأ رد الفعل القاسي يحدث أثره في نفوس الجماهير الساذجة ماذا فعل البرلمان ؟ ولم لم ينسحب الاحتلال ؟ وأين أين السودان ؟ وأخذت الاحلام تتلاشى وتبددها اليقظة ويطردها نور الصباح

برلمان سنة ١٩٢٠

حدثت حادثة السردار المشئومة فقامت القيامة واقتحم اللورد اللنبي بجنوده دار الحكومة المصرية، وقرأ الانذاز التاريخي الرهيب على رأس سعد زغلول، ثم توالت الحوادث بسرعة البرق فهوت وزارة الشعب وهوى برلمانها ودستورها وتألفت وزارة مختلطة من حزب الاحرار بناة الدستور وحزب الاتحاد الذي ترعرع في هذا العام واشتد وصال وجال ثم جرت الانتخابات على يد صدقي ، ناصر الزعيم وحبسه في داره وخفت صوت الشعب وحدث ائتلاف بين الأحزاب الكارهة لسعد زغلول ، ووفد سعد زغلول وجرت الانتخابات على هوى الوزارة القائمة وتكون برلمان سنة ١٩٢٠، ولكن كانت أيضا الاغلبية للوفد ؟ :واكتسحت الأمواج موظفي الوزارة الشعبية وأنصار الوزارة الشعبية فاصبح كل مدير بلونين ، وكل عمدة بثلاثة الوان ، وكل وجيه باربعة او خمسة الوان

وانعقد مجلس النواب ومجلس الشيوخ ثم جرت انتخابات الرياسة فكان

سعد، رغم كل ذلك الاعداد هو المتغلب وفي ساعتين اثنتين حل مجلس نواب سنة ١٩٢٠ فكانت مهزلة تاريخية وسخرية دستورية عديمة المثيل ؟

وتجات اللعبة الانجليزية الدستورية البرلمانية مرة اخرى بشكلها المضحك المخجل الظريف والناس - بعد- لا يفهمون ولا يعقلون وجاء دور الأحرار الدستوريين ولم يدم ائتلافهم مع حزب الاتحاد طويلا فقد حدثت حادثة كتاب الشيخ على عبد الرازق، فقذفت بهم وبحزبهم من حالق واخلى طرفهم ، في الحال واسدل الستار على برلمان سنة ١٩٢٠ بعد ان ابتلع اموال المترشحين وبعد أن نكبت الأمة نكبة جديدة في اخلاقها وروابطها وهنائها ونسي الناس الانجاز ، والاحتلال، والحرية، والاستقلال ، وتضاربوا حول كراسى الحكم وحول مقاعد البرلمان ؟ وتمخضت مصر عن ائتلاف عظيم خطير بين الوفد والاحرار - والحزب الوطنى

وتجلت اللعبة الانجليزية مرة اخرى قارنت الحبل وللائتلاف العتيد، فدحر خصومه وقسمت الدوائر الانتخابية على احزابه الثلاثة وجرت الانتخابات في سنة ١٩٢٩ ففاز الاستاذ شكري، بالتزكية وأصبح عضوا في مجلس النواب برلمان حافل بالشخصيات الضخمة من جميع الأحزاب أما سعد فقد تجهم له الانجليز واشترطوا أن لا يكون رئيسا للحكومة وأقام له النواب المنتخبون حفلة شاي في نزل الكنتننتال لتكريمه ولكن ظهر انه كان هناك غرض خفي ، فقد قام بعض أنصاره ينصح له بعدم قبول رياسة الوزراء ، فنهض الاستاذ شكري، يعارض

الفكرة ويقول انها تقهقر ورضوخ من زعيم الأغلبية لارادة الانجليز ، وقام طبيبه الخاص فأيد النصح بالتخلي عن الحكم ، ثم قام سعد العظيم ، وقال ان صحته لا تساعده على العمل في رئاسة الحكومة ؟
وانكشف الستار وضرب الانجليز الائتلاف أول ضربة ففرضوا ارادتهم واقصوا زعيم الأغلبية عن الوزارة فتولاها عدلي يكن وكان برلمانا حافلا بالعطاء ، غنيا باخطائه وحملاته وزحفه ولكن لا على الانجليز وانما على الحكم السابق ، وعلى الأحزاب السابقة أما قانون العمد - وقانون السلاح - وغيرهما وغيرها فقد لعبت بشأنها السياسة الخفية ونفذت مشيئة الانجليز ومات سعد وبدأ عقد الائتلاف في الانفراط وانسحب عدلى وثروت وجاء مصطفى النحاس ، فضربه الانجليز الضربة القاضية بحكاية قانون المظاهرات ، فاشتد البرلمان واحتد وتجهم وكشر عن أنيابه شم؟ شم ؟ ثم تقهقر بغير انتظام وانكمش أمام البوارج والمدمرات والطرادات ولعبت الدسائس وانسحب محمد محمود وأقيلت الوزارة الشعبية وحل مجلس النواب وأوقف الدستور ولعبت اليد الحديدية لمحمد محمود دورها فبطشت راقصت وقربت وفوضت المفاوضة الخامسة بعد مفاوضة ثروت الرابعة ثم فشلت وانهارت وتوارت عن الأنظار

بريمان سنة ١٩٣٠ وانتصر الشعب مرة اخرى وتولت الوزارة النحاسية الحكم وفاوضت وفشلت للمرة السادسة ثم ارتطمت بقانون محاكمة الوزراء واستقال النحاس استقالة لا تخلو من المؤاخذة السياسية وتجلى صدقي، في الميدان برلمان سنة ١٩٣٠ وعدل الدستور وقانون

الانتخابات وكون مجلس النواب الخامس والقراء يعلمون جميع التفاصيل فلا داعي للاشارة اليها ولا يعلم إلا الله مصيره هذا هو المرور السريع على نظامنا النيابي ، والدستوري ، والحكمى رأيت من واجبي ان ادونه في هذه الصفحات ليكون القراء على ثقة من ان : الدستور والبرلمان ، لعبة انجليزية مكشوفة شغلت زعماءنا عن القضية العامة ، إلى قضيتهم الخاصة وحولت جهودم من ان تتجه ضد الانجليز الى ان تتجه ضد بعضهم بعضا وكانت هذه اللعبة نعمة وبركة على انجلترا ووبالا على مصر وعلى مرافقها الحيوية، ومصالحها الاقتصادية واحوالها الاجتماعية ، فتدهورت جميعا وهبطت للحضيض ؟ ولا تزال الأحزاب تتناحر حول الحكم ولن يكون ؟ وحول الكراسي النيابية ولن تكون ؟ ولا يزال المصري هو عون الانجليزي ضد المصري ، ولا تزال الفوضى ضاربة الاطناب اما الاستقلال واما الاحتلال وأما القضية المصرية فسلوا عنها ضحايا سنة ١٩١٩ ، وسلوا عنها الخيال ؟ حياة الجارسونيرة إن النائب المحترم قد ارتدى في صباح يوم من أيام سنة ١٩٢٩ بذلته الرسمية الانيقة هو وأحد زملائه النواب ليحضروا جلسة افتتاح البرلمان العظيم وأقلتهما سيارة سارت تتهادى بين الجماهير الحاشدة ، وبين رجال البوليس والمدافع الداوية وبين الهتاف الماسى المرتفع للسماء فكانت الساعة ساعة من ساعات العمر النادرة فيها كل عناصر الزهو والغرور ، والاعتداد بالنفس، والطموح إلى العلي وفي دار البرلمان وجد النائب المحترم نفسه بين عظماء البلد وكبرانها واقطابها والقابضين على زمام الحكم

ثم شعر لاول مرة ان هؤلاء جميعا سيكونون تحت رقابته وتحت هيمنته وسيطرته ثم رفع بصره فوجد شرفات البرلمان حاشدة بسفراء الدول والصحفيين الأجانب وعقيلاتهم ثم بالأمراء والعظماء وكبار ذوي الحيثية من النساء والرجال

وزاده غرورة وسعادتة أنه كان أصغر اعضاء البرلمان سنا جلس بجوار سعد زغلول واستقبل في السراي الملكية عملا بالدستور وضخم امره وكبر وكانت له في البرلمان - بعد ذلك - جولات وصولات ليس هذا مكانها وانما نحن نسرد قصة اجتماعية اكثر منها سياسية فلتهمل السياسة من الآن فقد اضحكت وأبكت الضاحك الباكي، وهو إذ يذكر اليوم تاريخه السياسي يخلص إلى نتيجة محققة أدركها قبله شاعر مصر القوي رحمه الله إذ قال : وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم هي أمة تلهو وشعب يلعب كان لابد للنائب المحترم من ان يسكن في القاهرة حيث مجلس النواب ولما كانت عائلته مكونة منه، ومنه ، ومنه ، فقط فقد اتفق مع أحد أقاربه الاعزاء الذين مزجوا بين عاطفتي القرابة والصداقة فاشتركا في استئجار - شقة ، في مركز يقولون عنه انه سنترال ، وعاشا معا من سنة ١٩٢٩ حتى السنة التي تنتهي - أو التي شئت أن تنتهي فيها- هذه القصة

وكانت الشقة مكونة من صالة رحبة ، وغرفة استقبال ، وغرفتي نوم ، وغرفة للمائدة ، إلى غيرها من الملحقات التي توجد في مثيلاتها من المساكن العادية

وزين الشريكان الشقة ، بالورق الجميل، ووضعا فيها تليفونا ، وموبيليا

، لا بأس بها حتى اذا فتحت أبوابها وافتتحت رسمية أطلق عليها الاخوان والخلان اسم الجارسونيرة ، لا أدري لم يصدم هذا اللفظ النفوس وهو تعبير صحيح بلفظه ومعناه ينطبق تمام الانطباق على مساكن الأعزاب ؟

ولا أدري لم كانت تكال التهم جزافا إلى هذه الجارسونيرة ويعلم الله انها مظلومة ؟ يعلم الله انها كانت جامعة أخلاقية سالت فيها دموع وتهذبت فيها اخلاق وصلحت نفوس واستقامت شخصيات وتطهرت سير وتجلت علوم وفنون وفاضت عظات وعبر ثم يعلم الله انها كانت دار مواساة وسلوى وانصاف للمظلومين والمظلومات من الظالمين ثم يعلم الله ان هذه الجارسونيرة ، كانت في سبيل الحق حكومات وسلطات وحيثيات حتى انتصرت اخيرا بفلسفتها ونبلها وحماسها الحق على المال والجاه والسؤدد والنفوذ بغير مقابل ؟ بل يعلم الله ان المقابل ، كان جحودا كافرا وانكارا لهذا الجميل كان يستقبل الصديقان القريبان الشريكان في هذه الجارسونيرة طوائف من أجل وأزهى وأزهر زهرات الجنس اللطيف من كل لون ومن كل جنس ، ومن كل بيئة ، ويعلم الله ما كان تاريخ هذه المؤسسة تاريخ مجون أو لذة ، أو سكر أو هوى فاسد ، وانما كان تاريخ آلام وفواجع وأوجاع ودموع وشجون كشفت حياة الجارسونيرة ، للصديقين القريبين الشريكين سر الحياة الاجتماعية في هذا القطر البائس ، وبالأخص في عاصمته الخلابة الساحرة الفاجرة، كشفت لهما القناع عن اسرار البيوت واسرار السياسة فهالهما أن بناء الأخلاق في هذا البلد قائم على أساس متداع ضعيف وأن

النكبة أقسى وأمر مما يخال الخيال وآلم وأوجع مما تصور المبالغة وما يصور الابتكار وها هي الجارسونيرة ساعة كتابة هذه السطور قد هجرها الصديق القريب الشريك بعد أن أتم الله عليه نعمته بالزواج، فغدت وأمست مسجدا صغيرا اقام فيه منبر الأخلاق ، واحتشدت فيه الذكريات ، النقية، وشملت الوحدة الاستاذ : شكرى، فاخذ: بدون مذكراته ثم دفعها لصديقه مدون هذه القصة ليصوغها للقراء في قالب العظة والدرس لعل فيها بعض العلاج.

في برمنجهام، بانجلترا هبط الطالب المصري سعيد، ليلتحق بجامعة من جامعاتها، لا يعنيكم ولا يعنيني أن تعلموا ان سعيد ، هذا ولد في قرية صغيرة ، وفي دار صغيرة من قرى ودور اقليم القليوبية أما ابوه و الشيخ مصيلحي، فكان رجلا لا من الوجهاء ولا من انصاف الوجهاء واما من دارباع ، الوجهاء من الذين يملكون عشرين فدانا لا أكثر ولا أقل ووالدة سعيد، كانت - وأظنها لا تزال - من الطراز القديم الذي لم ير العاصمة في حياته الا مرتين اثنتين ، الزيارة والسيدة زينب ، ليس إلا وفاء لنذر ، وانجازا لوعد وعهد

نزل الفني سعيد ، في بنسيون ، لعائلة انجليزية مكونة من أب حداد ، وأم عجوز وفتاة تسمى : ريتا وكان الشاب في أيامه الأولى وديعة ، مؤدبة ، خجولا ، مرتبكا ولكن بارك الله في اخوانه ومواطنيه هناك : علموه ولقنوه الدروس ولمح أن كلا منهم يصطحب فتاة في مجال الشاي ، ودار السينما، ورحلات آخر الأسبوع شاغل الفتاة و ريتا ، بظرف المصرى الجذاب فانقادت إلى ظرفه ودعته وأبت كبرياؤه

القومية في مهجر العلم إلا أن يتضاهر وداء المصرى - كبر أو صغر - هو التظاهر والتظاهر ارفع مرتبة من المورد فاندفع وتلقي و الشيخ مصيلحى، الطلبات بالبريد وبالتلغراف مصحوبة بمعاذير المصروفات المدرسية ورحلات الاجازة والمرض القاسي ، والكتب، وأيدت دموع الام طلبات الابن الوحيد فرصد الاب المسكين ايراده كله ، وربحه كله ، على فلذة الكبد في بلاد الغربة ، ؟ ثم استدان ثم باع والابن في فترات الاستدانة ، وفترات البيع الودي والجبرى ، يتمادى في عواطفه وفي طلباته والشهور تمر والاعوام تمر والابن لا يرحم والاب يقول : لاحول ولا قوة إلا بالله عرفتم سعيد، في مصر وفي مسقط رأسه وعرفتم في مصر من هو ابوه ومن هي أمه ، وما هي داره ، وما هي ثروته المنتظرة فهل عرفتم في برمنجهام ، من هو ؟

تقول «ريتا ، لامها العجوز : إن أباه من كبار و الباشوات و حكام المقاطعات وملاك المزارع ان عندهم ثلاثة اسطبلات لخيول السباق ان الجواد د سرحان ،، وه تت بت ، ود سلطان ، ترنج آلاف الجنيهات في كل موسم ان عندهم غابة عظيمة للصيد والقنص ان في قصرهم الريفي تكعيبة عنب تمتد إلى مسافة كيلو مترين داخل الاسوار آه يا أمي : إنتي لسميدة ، وقد أحيت مصر الغنية بلد المدهشات والثروات

وتقول العجوز باسمة : صدقت ياد ريتا ، أبناء الأرستقراطية م

الذين يحضرون لانكلترا للعلم حظ سعيد يا ولدي

وحضر الأب و الحداد ، في المساء و فتدردش ، له العجوز وتروى الاعاجيب فيتم الاب الطيب ويقبل امرأته في سكون الليل فرحة بسعادة

الابنة المحبوبة وتمر أعوام الدراسة المادية ود سعيد، لا يزال يدرس والاب لا يزال يرهن وسيع ... والام لاتزال تبكى وفي ليلة سوداء رد خطاب من انكلترا ففضه الاب بلهفة فيجد فيه الصاعقة : صورة فوتوغرافية السعيد، ولزوجته ، درينا ، ولابنهما الصغير دال ، T
ومر عام ثم عام ويحصل سعيد، على شهادته العليا من جامعة الانكليزية ويعود مع زوجته وابنه ها هي الباخرة تصل إلى بورسعيد إلى الوطن المصرى وتركب درينا ، القطار في يونيه والخيال لا يزال يرتفع بها الى السماء ولكن القطار قذر والحر شديد والغبار يكتم الأنفاس أين الخيال ، والهضاب ، والخضرة الفرعونية ، والمناظر الطبيعية ؟؟ لانى

وهذه الجلاليب وهذه الزعابيط وهذه الأزياء المتنافرة انها أشياء تتنافر مع الذوق السليم ويصل القطار الى القاهرة حوالى الرابعة والنصف مساء وتذهب الاسرة والمختلطة ، إلى فندق وتمضي فيه أياما ان حر القاهرة لا يطاق وقد بدأت الانكليزية الصغيرة تتضايق
أين الباشا الوالد وأين د الليدي ، الوالدة انهما لم يحضرا ولم يذهب اليهما الابن العزيز إنها حد توافة إلى الريف ، البديع الخلاب ؟
وأنبأها سعيد، في صباح أحد الأيام بالسفر لزيارة الوالد وركبا القطار ومعهما الطفل العزيز ووقف القطار على محطة صغيرة ان : الرولز رويس ، لم يكن في الانتظار ؟ وكذلك الخدم والحشم بالملابس القصبية ؟ كان في الانتظار رحماران ، عاديان ركب و سعيد، أحدها وأمامه ابنه وركبت و ريتا ، الثاني بصعوبة وخوف أما الوالد فقيل إنه

مريض في الفراش وبجوار الجارين وقف بعض اقارب د سعيد، بملابسهم القروية المزهرة كانوا بعض و نبلاء و الأسرة الكريمة ؟ وسار الحماران الهزيلان بالاسرة المصرية - البرمنجهامية سيرة بطيئة مستمرة حتى وصلا بالركب الميمون الى القرية فاستقبلتهم التلال ، والمستنقعات ، وطائفة من الديكة والفراخ، والأوز والجديان والسكلاب

وأمام دار أكل عليها الدهر وشرب ولعب بها البلى والزمن وقف الركب

هذا هو القصر المنيف اين تكمية العنب التي طولها كيلومتران ؟ أين اسطبلات الخيول ؟ اين اين غابة الصيد والقنص ؟

أين يا سعيد ، ما أنبأت به دريتنا، وما أنبأت به أمها العجوز وأباها الحدادى ؟ نيال وألانيب وحاول الوالد المريض ان يرحب بقلبه ولسانه ألم يكن بطبعه مصرية وديعة مضيافة ؟ وألم يكن بطبعه أبا حنونا رغم كل الظروف ؟ والام : وأرحمناه لها وانتهت الزيارة ودريتا ، ببرودها الانكلزى وجمودها البريطاني، تحاول ان تخفي وجيعتها ولكن هيهات

وعادت الأسرة الى مصر فسكنت شقة متواضعة ومد الوالد ابنه بكل ما استطاع فكانت المعيشة اضيق واحقر من معيشة والحداد الانكليزي و زوجه العجوز ، ومضت أيام بؤس وشقاء وعاودت درتا كبرياؤها الانكليزية فلم تطق الصبر فلجأت إلى الوكالة البريطانية وأنت واشتكت وتحت عوامل التأثر والتوسل ألحق سعيد ، بوظيفة في بني سويف، فانتقل مع زوجته وابنه ومرت شهور فولدت زوجته بتا اسماها و

فردوس من برمنجهام ، الى بني سويف، أن ريتا حانقة ولكنها أم وماذا يتلقى الطفلان المصريان من الام الانجليزية ومن حنق الام الانجليزية ؟

كره مصر وكره الاب المصرى وكره كل ما هو مصرى وبدأ الزواج المختلط ، يثمر نمره المر وينتج محصولا من الصبر والحنظل وفي بني سويف ، فتاة مصرية ناظرة لاحدى مدارس البنات أخذت تشاغل سعيد وشاغلها سعيد والدم المصري يحن للدم المصرى واستفحلت العلاقة فاصبحت غرامة ثم تمخضت فولدت زواجة وكشفت الزوجة الانجليزية الجريمة، في نظرها فسافرت الى القاهرة وسعت سعيها الخطير وانتهى الأمر بالطلاق وحيل بين الأم وولديها فهددت بالمقاضاة وهددت بالنفوذ المقم في قصر الدوبارة وهددت بالمسدس ووظفت و ريتا، سكرتيرة في مكتب أحد المحامين الأنكايز وتزلت في ر كنوت هاوس ، فتعرف اليها الاستاذ و شكرى ، وتعرفت اليه

غير أنها لم تطق البقاء في مصر وحنت إلى وطنها العزيز ووسطت والاستاذ شكري، في نهو المشكلة القائمة بينها وبين زوجها بشأن ولديها فهاله الأمر وأفهمها بروح المصرى ان الولدين مصريان مسلمان - فن المستحيل ان تمكن منهما في غير جو مصر وغير الاسلام وفي و الجار سونبيرة، عقدت جلسات آثار الزواج المختلط ونكبات الزواج المختلط فلم تسفر عن نجاح ولكن ريتا ، انكليزية ووراءها قشلاق قصر النيل ، والقلعة وفي بحارها طرادات وبوارج ومدمرات وجن

جنونها إذ بلغها أن الطفلين يعانيان من عنت الست الناظرة ومن الأمال في التربية سمت الامر واستأجرت سيارة من القاهرة واسرعت بها إلى بني سويف، واختطفت الطفلين من على باب المدرسة حتى التقى وعلى الوالد بالاختطاف فطاردها في الاياب بسيارة
الحصان في غرفة مأمور قسم عابدين ودق جرس التليفون في الجارسونييرة واستدعى و الاستاذ شكرى فبادر الى غرفة المأمور وسمع الحكاية
وطلب اليه سعيد ، آن يكتب بالطريقة القانونية تنازلا عن حضان الطفلين المصريين المسلمين للام الانجليزية مقابل عدم مطالبتها له بأجر الحضانة ولا بأية مصاريف أو تكاليف ؟
فأسر اليه على انفراد أن الأم مزمعة السفر الى انكلترا ؟ قال الاب العظيم : ليكن قال الأستاذ : والولدان قال : ليذهبا حيث يشاء القدر ؟
قذفه الاستاذ بنظرة ازدراء رهيبة ثم قبض على يديه بيدر مرتعشتين وصاح في وجهه : أنك لنذل
اني كمحام من واجبي أن أحرر ما تريد ولكني كصرى وكمواطن ، ألنك واحتقرك
قال سعيد : إنها امرأة شريرة وهي تهدد بالقتل ولا يبعد أر تفعل بل اني لمتأ كد فا كتب لقد صممت وقالت درتا، هيا هيا إني سأسافر إلى انجلترا بعد باد واريد أن أعد حوائجي وليس عندي وقت عم
قال الأستاذ : لن افعل إتني بذلك أقضي على قومية الطفلين وعلى دين

الطفلين وأرتكب جرمة قومية خطيرة احذر يا سعيد وفكر وراجع نفسك

يجرى كل هذا في غرفة المأمور والطفلان يحدقان بعيونهما المصرية الحلوة وبسذاجة الابرياء ولا يفهمان

وتحرج الموقف وتعقد ولكن « سعيد، لم يجد في الأمر حاجة المحام فكتب ورقة واشترط فيها شروطه الخاصة بالمصاريف ووقعت : ريتا ، في الحال

ثم نادت : كمال فردوسى فرد الطفلان : ماما قالت : قبلا د بابا ، فقبلاه ودموع و الاستاذ شكرى، تسيل أسى وغيظا

واحتضنت و رينا، الطفلين وحيت الموجودين واقتادتهما إلى السيارة التي انطلقت بسرعة البرق الى المستقبل المجهول في انكلترا

وانسحب و سعيد ه و , المحامي ، المفجوع بذل العار والشنار بعد أن خسرا المعركة وخسرا المصريين المسلمين الصغيرين : إلى ما شاء الله

: ٢ -سعاد ٠٠ كانت في السابعة عشرة من عمرها لما زوجوها لرجل كبير من رجال البوليس يبلغ من العمر الخامسة والأربعين وكانت تحب ابن عمها وابن عمها يحبها ولكن اسرة الفتاة وأسرة التي كانتا متحدتين في الحيلولة ضد الزواج وعاشت الصغيرة مع رجل البوليس الكبير عيشة تعسة وعجيب هذا النوع من الزواج وعجيب هذا الاتحاد الا كراهي بين السن الصغيرة والسن الكبيرة وأعجب منه عندما تصل الزوجة لسن السابعة والعشرين وعندما يصل الزوج لسن اليأس أسوة

بالنساء كانت الزوجة الصغيرة لا تزال تحن حنين القلب وحنين الدم لابن العم حبيب القلب وحبيب الدم وكان في وسمها جميلا يناسبها في السن وفي الجمال

ومرت سنة ثم سنة والفتاة لا تنسى عهدها والتي لاينسى عهده وأخيرا لم تطق هي ولم يطق هو، فدبرا معا و تا مرا معا وانتهى الأمر بطلاق الزوجة الصغيرة من الزوج غير الصغير وتزوج الفني من الفتاة

واستقر الزوجان الصغيران المحبان الجيلان في مدينة هي عاصمة اقليم من أقاليم الدرجة الأولى

وكان بيت الزوجة الصغيرة أرشق بيت في المدينة وانظف بيت في المدينة فان الفتاة نسلت من أصل تركي وكانت ربة منزل تملا بهجة ، ونورة وهاجا ولغطت سيدات المدينة بمجال الفتاة فكانت ريحانة المجالس ووردة

ايام الاستقبال ومدير الاقليم كان رجلا كبيرا ولكن قلبه كان لا يزال كقلوب

الصغار وترددت الفتاة على والدته المجوز بأمر زوجها الضابط المرموس

قيامة بواجب المجاملة وقيامة بواجب الملق والدهان والتقى المدير بالفتاة فراعه أنها جميلة جالا يلفت النظر ويستحق الانتباه

ولاحظت الفتاة في يوم من الايام عطفة خاصة من سعادة المدير

فأجفلت وجزعت وبادرت الطيبة الساذجة إلى زوجها الشاب تفضي اليه

بالملاحظة الخطيرة فابتسم وقال : المي دورك ؟؟
قالت بهلع : ماذا ؟ قال : سايريه وجامليه ولكن حذار قالت : يا رجل قال : ألا تثقين من نفسك ؟ قالت : كل الثقة قال : علام الخوف إذن ؟ نستطيع أن نستفيد
نستفيد لفظ و معنى عثرت بهما كثيرة في قواميس الزواج
لا أريد أن أحمل الطبيعة البشرية حملا ثقيلا ينفر منه الاحساس وتمجه الاخلاق ويأباه الدم فأتهم بعض الأزواج الرجال بأنهم يستغلون الزوجات لاقصى حدود الاستغلال ولكني اقرر معتدلا أنهم يلعبون بالنار عن جهل ، وعن فرط ثقة ، وعن طيبة ، وعن قلة اختبار ، وعن ضعف مادى ، فيتسامحون ويتغاضون ويمهدون ويفتحون الطريق ويطلقون أول خرطوشة ولا يقدرون النتائج بعد ذلك لانها كانت في نظرهم بعيدة عن الخاطر البليد الغي غير اللاح انتاب الفتاة الذهول من هذا التصريح الخطير ومن هذا الأذن، المخنث فرشقت الزوج بنظرة ازدراء ولأول مرة تنهدت ذا كرة الزوج العجوز الرجل

ومهما قيل عن غريزة المرأة ومهما قيل عن عناصر إغرائها واستمالتها فاني أظن أنه لا المال ، ولا الجمال ، ولا خفة الظل ، بمرتفعة من ناحية التقدير إلى درجة الرجولة ، الرجولة هي ميزة الرجل وهي المشتقة منه لفظا ، ولغة ، ومعنى ولئن خدشت هذه , الرجولة ، في الزوج مرة فقل على البناء العائلي السلام إن الضابط الصغير كان طموحا تواقا الى الرقي وكم دفعت شهوة الرقي إلى أعماق أخلاقية سحيقة دع هذه الوسيلة الوضيعة من وسائل تحقيق المغرب

والمطامع وانظر في الأزمات السياسية المصرية كم لعبت شهوة الترقى ، دورها اللعين العفن القذر فكانت الأخلاق المنكوبة وكانت الأخلاق هي المدحورة المقهورة وكانت الأخلاق هي الضحية وهي الفريسة وسرت العدوى سريان النار في الهشيم، فانتقلت الى العمد وشيوخ البلد ووجهاء القرى والى العمال وغير العمال فاصطبغوا بكل لون وقبلوا كل يد و آزروا كل حكم ونافقوا لكل ذي سلطان وشهوة الترقي ، وخشية الضرر، ورغبة الانتقام ، كلها نزوات تستوى وتتسابق وهي وثيقة الاتصال بعضها بالبعض الآخر ، وهي اليوم المظهر النشط العامل في حياتنا السياسية والاجتماعية الفتاة لم تجرب الزلة بعد في الثورة على الزوج وعلى سعادة المدير ولكن المرأة الضعيفة في كفاحها القوى تحتاج سندا يسندها ، وعضداً يعضدها ، وعاملا يقويها ويشد أزرها أين هو ؟؟ أهو الزوج الذي يريد ان د يستفيد ؟ أم سعادة المدير المحب الولهان ؟ وتشجع سعادته فعطف على المرأة وعلى الرجل : أما تلك فقد أغرقها بالهدايا الذهبية والماسية ، والحريرية وبالحلوى وأما هذا فقد أضاف الى نجمته ، نجمة وتوثقت العلاقة وتعددت الزيارات والفتاة تتدرج من العبوس الى الابتسام ومن النفور الى الاستسلام ومن القلق الى التسليم بارادة الزوج وارادة القدر

ولكنها لم تسقط بعد في عرف الحقيقة وفي عرف الحق وفي عرف علام الغيوب هي لا تزال عفة الثوب ، نقية الازار ولكنها سقطت وانتهت في عرف الناس والناس في عواصم الاقاليم لماحون ، فضوليون ، يدركون بسرعة البرق حتى اكاد أتخيل أنهم يدركون

بطريق الالهام وانطلقت إشاعة في البلد بأن سعادة المدير وسعاد ، قد أصبحا عشيقين جسما وروحا ، ودما والفتاة مظلومة
وعواصم الاقاليم بلاد محدودة الدائرة ، ضيقة المساحة، محصورة الوسط والاشاعة قد دوت دويها ، وأنذر بها الطبل والمزمار وحمل البريد الى الضابط ذي النجمتين خطابات بدون توقيع فهم منها أنه أصبح محط الأنظار المزدرية ، وهدف الألسنة الشريرة فجن جنونه ، وتحركت - بعد طول الرقاد - رجولته ؟ فى- يوم من الايام دعا سعادة الحكمدار سعادة المدير الى الغداء ومثل هذه الولائم تجمع على موائدها كبار الموظفين وكبار الأعيان وكان الحكمدار يسكن شقة في الدور الثاني من عمارة والضابط يسكن الشقة التي فوقها وتناول المدير الغداء وشرب القهوة ثم نهض للانصراف ويشاء سوء الحظ أنه في لحظة نزوله على السلم هو والجيش الجرار الذي يتبعه وورائهم الضابط كانت وسعاد ، تلقي بعض الزهور الذابلة المختلفة الأنواع والألوان على السلم فسقطت على رأس المدير وتطلع الجميع الى فوق فوجدوا الفاتنة تلقي الزهور وتنثرها على سعادة المدير ؟ أليس كذلك ؟ هو كذلك واحسرتاه وتنتشر الحكاية بسرعة البرق في البلدة فكانت هي تسلية المجالس وحديث السهرات وانتقلت إلى النساء فطرزتها بالمبالغات وبالمضاعفات والفتاة البريئة مظلومة والفتي يصعق من هول الموقف حتى إذا ودع سعادة المدير إلى المكان المناسب عاد ادراجه وقد ثارت رجولته ، فصفع الزوجة البريئة صفعة قاسية ثم أردفها بيمين الطلاق ، وجمعت البيئة المظلومة العفيفة حاجاتها مطرودة شر طردة من

عاصمة الاقليم مثلومة الشرف، ساقطة في نظر الناس جميعا لا في نظر الله

عادت إلى القاهرة فارتمت في أحضان أمها العجوز الفانية تبكي وتلطم وليس لها في دنياها إلا الأم وإلا إيراد ثلاثة جنيهات في الشهر الواحد استحقاقها في وقف يصرف شهر ويتأخر شهور قاومت الفتاة أمواج الخضم الدنيوي المتلاطم الامواج وكادت تظفر بخطيب غير أنه ما لبث أن اتصل بتاريخها الكاذب مع سعادة المدير حتى أفلت وفر هاربا وظفرت بثان وثالث فكانت العاقبة واحدة وامتنع صرف الاستحقاق اليها بسبب نزاع جد في الوقف فاغلقت ابواب الحياة في وجهها ثم جرفها التيار زهرة ندية يانعة إلى حيث غيب مثيلاتها في قاعه حتى أصبحت في سنة **١٩٢٩** من زائرات الجارسونييرات ٣ -لولو لولو ، في سن الخامسة عشرة جمالها جمال صحى متمش هل تفهمون ماذا أعني بالجمال الصحي المنتعش ؟ هو الجمال المدملج الرياضي المناسب الأجزاء والتقاطيع الجمال الذي يثور على حياة المخادع والبيوت والذي يقفز إلى شاطىء النهر ، وأشجار الحدائق والهواء الطلق ، والخلاء ، والذي يمشي على القدم كيلومترات والذي يجري وينط ويحرك العضلات و يملأ الصدر هواء ويتمتع بنعمة و الشمس، عدوة الأمراض والميكروبات فالى الكلام كانت تسكن مع أسرتها في وسط النيل ، بجوار الجزيرة والجزيرة فيها ارستقراطية وجمال وسيارات وأماني وأحلام وهي قد اعتادت أن تتريض في عصر كل يوم إما على القدم أو فوق و البسكليته وشاءت الصدف أن تلتقي كل

يوم بسيارة غمة فاخرة يقودها شاب فخم فاخر وأدت هذه الزمالة في اللقاء وفي النزهة إلى النظر فالى الابتسام ولكنه كان نظرة عادية وابتسامة بريئا وكلاما تابعة - فقط - اللسان في الجزيرة أو فيما يلى الجزيرة سيدة كان يجب أن يحجلها جلال السن ووقار الأرستوقراطية وقناعة الحياة المسلحة باليسر وبالعار ولكنها نشأت - أصلا - في بيت من البيوت الخاملة ثم شاء لها الحظ الطيب أن تصبح زوجة لاحد السراة الوجهاء وأن تتربع على عرش قصر عظيم وعلى قلب زوج مستسلم السلطة في يمينها والمال في يسارها والأهواء تسمم دمها وميولها

إذن ليصبح القصر ندوة لا للعلماء والاقطاب والساسة والادباء وإما للمتعة والهوى واللذة والتسلية وداء السيدة العضال لا يشفيه إلا أن تجمع الدار الفاخرة من حين لحين بين العشاق وجنود العواطف في سهرات وحذار حذار أن تسيء الظن بوسط الآكلين والشاربين والراقصين والضاحكين والمتهامسين من رجال ونساء افكلهم من طبقات المتحررين من الدرجة الأولى والثانية فهناك الوزراء والكبراء وكبار الموظفين والشبان الوارثون وهناك المقابل ، من السيدات الكريمات الموسرات ثم هناك رجال الطقم ، من مطربين ومطربات وموسيقيين وموسيقيات الشاب الفخم الفاخر ذو السيارة الفخمة الفاخرة وزميل الصغيرة ذات الجمال الصحي المنتعش في اللقاء وفي النزهة من رواد هذا المعهد الجليل همس في اذن السيدة الوقورة الغاوية الهاوية أن تدعو الفتاة وأهل الفتاة إلى سهرة وأن تدعوه وأسرته إلى

نفس السهرة ليتم التعارف وليبدأ العمل وكانت السيدة الوقورة عند ظن صديقها الشاب بمهارتها وبراعتها وكفاءتها فكانت السهرة وكان التعارف وبدأت الصغيرة تميل وبدأت تحن إلى حياة الأرستوقراطية وحياة البذخ وحياة اللهو الرفيع الشأن ولكن بخيبة الأمل إن الفتاة قد جاءها خطيب ولكن ليس من ذلك النوع الراقي ولا تلك الماركة

واسرة الفتاة متوسطة الحال ، والفتى كذلك متوسط الحال الفتى الخطيب لا الفتى الخلاب وتقبل الاسرة الخطبة وتسير اجراءاتها بسرعة البرق وتحاول الفتاة أن تتمنع وأن تثور على الزواج ولكن ماذا تستطيع أن تفعل وكيف تملك أن تقاوم والشاب الفخم الفاخر متزوج ولم يعرض عليها الزواج ؟

إذن لتخضع لحكم الواقع وحكم العقل ولتنمرن على أن لا تفكر إلا في خطيبها وإلا في سعادتها الزوجية المقبلة ويساعد الفتاة على النسيان أن الشاب الفخم الفاخر قد اختفى من الميدان وسافر إلى أوروبا، مع زوجته لتمضية فصل الصيف وهكذا توارى الامال والاحلام ويتم الزواج وتمر على عهده اربعة شهور سعيدة هادئة : فيها حب وافر من الزوج المتواضع وحب وميولوجى، من الزوجة الطامحة ثم يعود الشاب ذو السيارة الفخمة الفاخرة من رحلته ، ويعود ومم العمل في قصر السيدة الوقورة ويستدرج الزوج المتواضع وزوجته الصغيرة إلى القصر العظيم والى السهرات المتلألئة والى الوسط الخلاب فينتهز الشاب الثرى الفرصة ويختلس اللحظات ويغازل الفتاة في غفلة من زوجها وفي غفلة من زوجته ؟ وتمتزج الأسرتان وتتصادفان

وتكرر دعوة الشاب الثرى لولو ، في السينما والمسارح مع أسرته فتذهب وحدها حتى اذا ما انتهت الرواية وصلت السيارة إلى منزله لتوصيل عائلته وعادت تحمل الشاب الثرى والزوجة الصغيرة إلى منزلها وفي الطريق تتجلى عواطف وتصدر زفرات وتأوهات وتسيل دموع والفتاة مبهورة بمظاهر اليسر مأخوذة بسيطرتها على قلب الشاب الأرستقراطي النبيل الجميل الموسر فتدفع وتمكن الحب من قلبها ومعذورة هي أيها الأزواج المتواضعون : أخطر عنصرعلى سعادتكم الزوجية المتواضعة أن توجدوا زوجاتكم في جو الأماني والآلام والاحلام وفي الوسط الراقي الباهر الساحر الخاطف للابصار حتى إذا عدت إلى بيوتكم الرقيقة الحال وإلى , شققك، الضيقة المجال أخذت الزوجات المحرومات المتطلعات المتمنيات تتحسر وتتمني وتريد ؟ مظاهر العز فتنة وأجواء اليسر مزلقة فاحصروا زوجاتكم في جوكم واحبسوهن في وسطكم وحذار حذار أن تقوا بهن السماء لحظات ثم تهبط بهن للارض سنوات ؟: وهكذا لعبت الفتنة بلب الفتاة فتغيرت على زوجها وتنكرت لجوها ووسطها وأوعز اليها الشيطان الأرستقراطي أن تبذل كل وسائلها للطلاق من زوجها واعدا إياها وعد النيل الحر ، والكريم الأصيل ، أن يتزوج منها في الحال لم تكن العصمة في يدها ولم يكن حق الطلاق حقها لئن كان هذا صحيحا في عرف الشرع وفي عرف العرف فانه لم يكن كذلك في عرف العمل المرأة التي تريد الطلاق ولا تملك الطلاق تستطيع الطلاق ولولو ، الصغيرة الساذجة خلق منها الحب شخصية أخرى فهى قد أصبحت في

البيت الشر، والثورة ، والكدر ، والتعاسة ولمح الزوج المتواضع المسكين هذا التطور فعالجه بالرقة تارة ، وبالنصح تارة أخرى وبالتهديد حينا وبالوعيد أحيانا حتى اذا ما كشف السر وكانت لديه مقدماته يئس من الإصلاح ففوض أمره للقدر وكان المسكين يحبها حب العبادة ولكن كانت له بقية من كرامة وعزة نفس وصارحته وصارحها بالطلاق فأصبح أمره محترما وفي يوم من الايام حضر المأذون الذي حرر عقد الزواج ليحرر صيغة الطلاق في جمع من أهل الزوج وأهل الزوجة بذلت النصائح والفتى بتوجع والفتاة تصمم ولم يملك الفتى المسكين الا أن يك والمأذون بدون ويسطر حتى إذا تمت الإجراءات سلمها ورقة الطلاق وهمس بهذه الكلمات :

وعندما تحتاجين إلي وأعتقد أنك ستحتاجين تجدينتي في خدمتك في الزيتون فيلا صغيرة جميلة مضت فيها و لولو، شهور العسل في الحرام لا في الحلال باعت جسمها وروحها لعشيقها وخطيبها بيع السماح أما المقابل فكان مجرد الوعد وبعض المصروف الضروري للحياة وكانت له مخلصة الاخلاص كله وكيف لا، ألم تكن تمهد للزواج؟ أما مظاهر الاخلاص العجيب فأهمها وأخطرها أنها قطعت صلتها بالعالم : لا بالصديقات فقط بل بأمها واخواتها وأفراد أسرتها وكانت الكبرياء تحول بين هؤلاء وبين الاتصال بها في بداية الأمر ولكن يا للقلوب الرحيمة الحنونة مهما سقطت الفتاة فان سقوطها لا يحول بينها وبين قلوب الأم والشقيقات وبذلت الشقيقات محاولات جريئة للاتصال بها فرفضت رفضا باتا : ان خطيبها أراد وسمعت الام

الرؤوم أن ابنتها مريضة فزحفت وزحفت حتى وقفت أمام الباب وطرقت فتح الباب وعرفت الفاتح بشخصيتها فعاد يعتذر اليها: البيك لا يريد وعادت الأم مدحورة مهزومة تبكى جحود البنات وطال الأمر على الزواج ومشروع الزواج وفي اثناء المطل والتسويف سقطت الفتاة مريضة بسبب اعف عن ذكره أما المجرم المتسبب فكان الشاب الأرستقراطي ونقلت الفتاة للمستشفى قضت فيه شهورة وولدت فتاة في الشهر الثاني من شهور المرض زارها المغرم الوان ، والخطيب النبيل وقد ارتسمت على وجهه علامات الالم والكدر **:** قالت له : ما بك يا حسين ؟ قال **:** مصيبة قالت جزعة : ماذا ؟

قال : زوجتي مريضة بالكلى وقد نصح لها الأطباء بالسفر في الحال الى فرنسا للاستشفاء تمهيدا لإجراء عملية عند الدكتور ماريون الطبيب العالي الشهير

قالت النبيلة الفقيرة : من واجبك اذن ان تسافر ؟ قال : نعم قالت : الأمر هين سأصبر على فراقك وختى تتحسن فان كنت تحسب حسابي فاني أقدر حرج مركزك فلا تتردد

قال : شكرا وتنهدت الفتاة

قال : لم تتنهدين اني لا أزال على وعدى وبمجرد عودتي سنعقد العقد

قالت : أني لا أسيء الظن بشرفك متى تسافر ؟

قال **:** في أقرب فرصة لقد أعددنا كل شيء وربما رحلنا باكرا فاذا حالت الظروف بيني وبين زيارتك مرة أخرى فاني أودعك الآن

ارتاعت الفتاة ولكنها كظمت الغيظ وكتمت الألم وتظاهرت بالثبات وتبرع النبيل الأصيل بقبلة ثم نهض مستأذنا ولكنه ظل واقفا مرتبكا قالت : صارحني إنت تخفي شيئا ؟ قال : نعم وانتظرت الفتاة التفسير ومرت دقيقة قالت : تكلم قال : إني خجل قالت : وهل بيننا تكليف ؟ قال : لولو هل عندك نقود ؟؟ اني مأزوم وعبثا حاولت الحصول على مال انتصبت الفتاة الشريفة رغم مرضها وهزالها وقالت :

-نعم عندي يا حسين عندي اربعمائة جنيه في البنك مبلغ وفرته منك فهو مالك في الشنطة دفتر الشيكات فهاته وانتى النبيل الاصيل عليها يقبلها ثم احضر لها الدفتر ووقعت بالصرف لحامله

قال وهو يطويه : ثقي يا لولو أنني لن أنسى معروفك أبدا وسأعرف كيف أرد قرضك وكيف أؤدي واجبي نحوك يا انبل مخلوق قالت وهي تقبله : اطلب لزوجتك الشفاء وادعو لك بالسلامة وانتهت اجراءات الوداع على أرق وأحسن ما يكون وغاب النبيل الاصيل عن النظر إن الفيلا، لم تعش طويلا بعد خروج الفتاة من المستشفى السبب واضح : أن النبيل الاصيل الذي غاب عن النظر ظل غائبا عن النظر بشخصه ورسائله وبصوره وان الأربعمائة من الجنيهات كذلك غابت عن النظر وكانت كل ما تملك وسكنت الفتاة في الحال شقة صغيرة وهي تصبر صبر الكرام معللة النفس بعودة النبيل الاصيل وبتحقيق الوعد النبيل الاصيل وكانت تعرف عنوانه في د كوك ، فاخطرته بحالتها وبعنوانها :وفي يوم من الايام دق جرس الباب ففتحته بنفسها واذا بها أمام ساعي التلغراف كادت تقفز من الفرح وخصوصا عندما علمت أنه

من الخارج وفضت التلغراف بنشوة السكران من البشري وقلبها يكاد يقفز من مخدعه وإذا بها تقرأ :وأبلغك آسفا أنك حرة اني تحت ضغط الظروف القاهرة أقطع علاقتي اكرر أسفي ؟

و صديقك ، صعقت الفتاة واغمي عليها بعد صرخة تذيب الحجر لم يكن هناك إلا ساعي التلغراف ، الذي ظل واقفا ينتظر البقشيش وكان شابا فيه مروءة فأجرى الاسعافات اللازمة حتى استعادت قواها وبذلت الفتاة جهود الجبابرة لتثبت حق البنت المجحودة وليدة العلاقة غير الشرعية فذهبت مساعيها هباء

وتعرفت إلى الاستاذ شكرى ، فكانت من الضحايا التي قذف بها خضم الحياة المضطرب الى الجارسونيرة ، ولمح فيها سرا ولمحت فيه شمما فعف وعفت حتى كشف يوما من الأيام في زيارة لها أن على الشيزدونج، صوتا بريئة ينبعث من تحت الغطاء :قال : ما هذا ؟؟ قالت :دموعي وألامى وماسى قال : افصحى؛ قالت : بنتى قال : وبنت من ؟ قالت : بنت الشارع بنت الزقاق بنت القدر أيها الشباب النبيل : الأصيل : إذا سألتموني ماذا تشتغل لولو م اليوم ؟ أجبتكم - :ابحثوا عنها في شارع عماد الدين إنها تشتغل راقصة ؟ الشقيقتان

عودوا بنا قليلا إلى سنة ١٩١٢ أن الذاهب الى مصر القديمة ، يرى في المدخل قبل مستشفى هرمل، منزلا كبيرا في الفضاء أو في المزارع لا أذكر جيدا ثم لا أريد أن أعين جيدا ودعوني اغالط في الجغرافية ما دمنا نسجل الحقائق في ذلك المنزل كانت تقيم عيلة كبيرة ': رب العيلة موظف كبير كان يتقاضى من الحكومة مرتبا كبيرا

وكان مغرما بالزواج وكان رجلا من الدقة القديمة ، خشنا في مزاجه وفي طباعه وأبي خياله السمج إلا أن يجمع زوجاته الثلاث في ذلك المنزل الكبير وكان له من الزوجة الأولى أولاد كبار هم اليوم من كبار موظفي المصالح والدواوين وله من الزوجة الثانية أولاد كبار أغلبهم آنسات أوسيدات وابن واحد اظنه قد مات وله من الزوجة الثالثة بنتان الأولى كانت تبلغ السادسة عشرة واسمها سميحة والثانية كانت تبلغ من العمر الحادية عشرة واسمها و احسان ، ويقطن بجوار المنزل طالب يبلغ من العمر ستة عشر عاما - هو أيضا - وكان إذ ذاك بالمدرسة السعيدية تزاورت أسرة الطالب مع اسرات الموظف الكبير ذي الثلاث زوجات وامتزجت العيلتان كانت الفتاة الكبرى في المدرسة السنية ، وكانت معروفة بجمالها الفتان : اللون الاسمر الخمري والشعر الطويل مودة ذلك الوقت وبهذه المناسبة أود في مؤلفي هذا أن أسجل أني من ألد أعداء الشعر غير الطويل أنا من خصوم الشعر المنصوص على طريقة أولاد البلد وطلبة المدارس وغواة راقصة الامامية من ابناء الفلاحين الشعر الطويل النامي جمال مستقل بذاته ، يوحي بالخشوع والإجلال ويلفت النظر وحده كنعمة ثرية من نعم الله له كبرياء وله عظمة وله مغناطيس ثم له دلال حين يختفي فيه الوجه الجميل ثم سحر حين يتناثر بحال مقصود فبعضه يتدلى على الصدر وبعضه يحتم على الكتف وبعضه ينسحب على الظهر ثم له روعة حين يلعب به النسيم نمر يأكل القلب حين يغمر العاشق وجهه بين ثناياه وحين يمسح به دموع الحب والغرام ؟ من عهد أن قضى الجهل وسوء الحظ على هذه

الثروة قلت في نفسي وداعا يا رمز الجمال حين تجلى والقفا ، وبرز ثقيل الظل ،ثقيل الدم ، ثقيل الوطأة على النظر ، أجرد أمرد أخضر قلت وداعا يا جاذبية أقول لكن الحق يا بنات اليوم : لقد انتحرتن شعرا واتعس منكن حظا السيدات كبيرات السن نوعا كان الشعر الطويل النامى يهوش نوعا ما على انقاض جمالهن المتخلف فلا أجهزن عليه ولااجهزن - حتى - على الانقاض ؟ كان طالب مدرسة السعيدية حريصا على الوجود بمنزل أسرته حين تحضر سميحة وكانت هذه حريصة على أن تذهب حين يكون الطالب موجودا

وكانت حجة سميحة في الزيارات المتكررة الصداقة التي توثقت عراها بينها وبين أخت الطالب وان كانت اصغر منها سنا بكثير ثم كانت دائما أبدا يصحبها حارس : اختها احسان وكم كانت الأخت ، ولا تزال ليومنا هذا الحجة ، وكم كانت ولا ترال واسطة التعارف وصاحبة الفضل في تكرار المقابلات ووضع الحجر الأساسي في العواطف خذوا كلامى ببساطة ولا تغضبوا أيها الأخوة أشقاء كنتم أو غير أشقاء طالما استخدمتم الاخوات في انشاء العلاقات وفي تنميتها وتغذيتها وفي نقل الرسائل وفي اصلاح ذات البين وقد يكون هذا وذاك يتجه اتجاها صالحا ولكنه قد يتجه في بعض الاحيان اتجاهة فاسدة في سبيل الأهواء أيها الأخوة لا تعفون ولا تذكرون أنكم تلقون اخطر الدروس على الأخوات وأنكم ترسمون لمن خطط الحب والمري وأنكم تكشفون لمن اسرار وسائل العشق وأنكم تحرضونهن تحريضا حماسيا على أن يفعلن مثلما تفعلون وعلى ان لايرين في الغرام شيئا يخدش

السمعة ويؤذي الكرامة هذه ملاحظة عرضية لا تمت في أصلها أو في نتائجها بنسب إلى وقائع حكايتنا ، ولكني لم أستطع أن أغفلها وأنا أمر مرة على علاقة والحب الابجدي ، الذي نشأ بين الطالب وبين : سميحة ، وكان لابد من مراسلات وخطابات أما أخت الطالب فرفضت - على سذاجتها - بتاتا أن تكون ساعية البريد وأما أخت سميحة فقد التحقت بالخدمة وإني أسائل نفسي مندهشا : لم يشغف العشاق من هذه السن ومن هذا الصنف شغفة عظيما بالمراسلات ؟ : في درج كل طالبة وفي درج كل طالب رزم مكدسة من رسائل الحب باللغات الثلاث : العربية والانجليزية والفرنسية ثم بجانب هذه الخطابات صور فوتوغرافية فردية وزوجية تجمع بين العاشقين في مختلف الأوضاع وقد قرأت كثيرا من هذه الرسائل الحنونة فوجدت فيها غلوا واطنابة وتسامحا وجنونا ورقة ووجدت أساليبها من نوع أساليب القصص فضلا عن أنها امتازت بخيال لا يخلو من سخافات ومضحكات فهذه فتاة تهدد بالانتحار وهذا يهدد بالقتل وهذه أخرى تهب نفسها لصديقها وهذا آخر يقترح الفرار وهذه تصف حالتها النفسية وتعرض تفصيلا دقيقا لهواجس الأرق - وهذا يرفق بخطابه منديلا مبللا بماء الدموع ؟ ثم تنقطع العلاقة الغرامية بحكم الظروف أو بحكم الضرورة أو بحكم الفشل ، فتبقى خطابات الفتاة ومخلفاتها عند الفتي، وتبقى خطابات التي وملحقاتها عند الفتاة ثم يلعب الزمن الطويل دوره وتمر أعوام واعوام وقد تكون الفتاه قد ارتفعت إلى الجوزاء وقد يكون الفتي قد هبط إلى الحضيض وقد يكون العكس ويظل السلاح القاسي الحاد في يد كل

طرف ومن يدري كيف يستعمله ؟ والمحب بحسب اختبارات العديدة فياض ثرثار يحكي ويروى لكل صديق ولكل صديقة وبرهانه الدليل الكتابي الذي في يده وكم عانت الاسر المصرية مصائب بسبب هذه المراسلات هل تطمع هذه والقصة ، في أن تسدى إلى المحبين الناشئين نصيحة : أن يحبوا ما شاء لهم الحب ولكن لا يكتبون

ترعرع الحب بين الطالب وبين سميحة وكانت الشقيقة الصغرى هى ساعية البريد وفي يوم من الايام حملت لاختها خطابا من نوع ما وصفت فضبطه الوالد الخشن وفضه وقرأه وكانت ثورة : أما العقاب البدني فوقع على الفتاتين وكانت الصغرى هي صاحبة النصيب الاوفر وصدرت الأوامر بالمقاطعة ويمنع الزيارة وبالاكتفاء بما تعلمته الفتاة من المدرسة ؟

وعانت احسان ، الصغرى من الضرب الشديد ما عانت وسجل عام ١٩١٣ وراء أذنها اليمنى جرحة مزمنة لعبت فيه أيدي الأطباء ومن ضمنهم (نصف طبيب ، في مدرسة الطب طالب في السنة الثانية قدمه طالب السعيدية ، وسبب المصية هدية ليقوم بالعلاج واندمل الجرح البدني بعد زمن طويل ولكنه خلف الذكريات شيئا علامة مادية بقيت تزوجت سميحة ، بعد ذلك فانقطعت العلاقة بينها وبين طالب السعيدية ثم فرق الزمن بين الاثنين وانسدل الستار على الذكريات في سنة ١٩٢٧ أي بعد مرور خمسة عشر عاما يدق جرس الباب في الحارسونيرة دقة رقيقة يفتح المتر شكرى ، الباب ويستقبل زائرتين احداهما كبيرة في سن الخامسة والأربعين لا تستحق الوصف لأنها

ليست بالجميلة والثانية في سن السادسة والعشرين جميلة من كل ناحية وصاحب الجارسونييرة يعرف الكبرى ولكنه لا يعرف الصغرى وجرى التعارف والصغرى تحدق في وجه الاستاذ بشغف وفضول ودار الحديث والصغرى واجمة تسمع ولا تنبس ببنت شفة الفت هذا الجمود نظر فوجه اليها حديثه وأخذ يحبها وهي ذاهلة ثم كأن اغماءة نصف يقظة قد غشيتها فهي تغيب عن المجلس وعما يدور فيه ثم تتنبه وتتاوه قال الأستاذ لنفسه : إن في الأمر شيئا ثم قال لها : هل السيدة تشعر بتعب ؟ قالت بخفوت : لا ثم قالت : نعم قال : بماذا تشعرين ؟؟ قالت بظرف : لا تنشغل الأمر هين ثم نهضت فجأة بشكل عصى وأشارت اليه أن يتبعها الى الصالة قام ورائها وقد شغلته هذه الحركات العجيبة وفي ركن من اركان الصالة همست في اذنه قائلة هل كنت تسكن فى مصر القديمة منذ خمسة عشر عاما ؟ قال مضطربا : نعم قالت : وكنت طالبا بمدرسة السعيدية ؟ قال مضطربا : نعم صمتت ، ثم حدقت ، ثم هطلت دموع ثم ارتمت على الكرسى تتناول يديها وأخذ يهدئ روعها وهو لا يذكر شيئا وهو إذ بجاول أن يستدعي صديقتها الكبرى تقبض على أنامله ثم تشدها شدة إلى ما وراء اذنها اليمنى وتهمس : المس ، وتذكر جرح ؟ بل أثر جرح ؟ ويفيق الأستاذ من نوبة المفاجآت ويصرخ بجزع : أنت ؟فتقول : نعم أنا أنا إحسان ، أنت إحسان إحسان الصغرى أخت سميحة وبعد خمسة عشر عاما قال وقد تحركت عواطفه من قبرها الذي دفنت فيه في سنة ١٩١٢: وسميحة يا إحسان كيف حالها ؟ قالت : مثلي قال : ماذا تعنين ؟ قالت : هكذا

تزورك وتزور أمثالك من سكان الجارسونيرات وأخذت تبكي بكاء مرة وقد وقف بجوارها مذهولا متحسرا متألما وهو يقول : ما أقساك أيها القدر وفي اليوم التالي حضرت الشقيقتان وكانت مناحة لقد مات زوج الكبرى وخلف أولاده وخلف فقرة ومات أبو الشقيقين وخلف هو الآخر فقرة بقى الاخوة الرجال الكبار الذين يحتلون اليوم مناصب الدولة الكبيرة في بعض المصالح بالقاهرة منهم الذي يشرف على معاهد الأخلاق ، ومنهم الذي يدير ملاجى البؤساء التعساء ، ومنهم الذي يجري الرزق على معشوقاته ببذخ واسراف ، ومنهم الذي برز في الهيئة بروزا ساطعا بكفي أن تقول إحدى هاتين لاحدهم : أنا أختك لتحطمه تحطمه أدبيا أبديا ولكن يا لعواطف المرأة حين تقبر سرها من أجل الآخرين ؟ هؤلاء الانذال تركوا الاختين غير الشقيقتين للقضاء وللقدر وللدنيا قضوا عليهما بالموت دفاعا عن العرض ، فلم يبالوا

أيها الناس: لا تحتقروا بالله عليكم هذا الصنف من وضحايا القدر وأصلحوهن أن وجدتم مجالا للاصلاح ولا أقل من احترام الدموع والاشجان ان قصص الجارسونيرة عديدة ولى النفسانى ومن نوعه ولو احتمل المجال لقصه مأساة

يعيب المتطرفون في عالم الأخلاق الفاضلة على المسلك الذي يعدونه في نظرهم معوجا ولست أحاول الدفاع فاني من ذلك الرأي ولكن لا بد الاجتماعي أن يتصل بالمجربين ليدرس وليتعلم ان لم يغمر نفسه متعمدا، في خضم ذلك البحر الرهيب والا فمن أين يغترف النصائح وهي بنت التجربة ووليدة الاختبار ؟ قلت لصديقي شكرى ، بعد أن

وصلت في كتابي إلى هذا الحد : هل عندك من مزيد ؟؟ قال : عندي الأدهى والامر عندي تاريخ أربعة أعوام رهيبة لكني سوف أخفيه عنك إلى أجل ولم؟ لأنه متصل بالدولة ، وبسياسة الحكم والاقطاب هؤلاء ؟ ومثلك تماما غير أني ، أنا وأنت ، من» الأحرار ، الذين لا تقيدم زوجة ولا عيلة ولا أولاد - من الذين لا يحملون على جباههم عنوان الوظيفة ، ولا على الدولة ، ولاواجب الحكم - من الذين لا تتأثر بسلوكهم المعوج مصالح العباد قلت : وهل من علاقة بين المرأة ، والدولة ؟ قال : هذا هو موضوع مذكراتى فاستلمها منى بعد عام